

تَشْنِيفُ الْأَذَانِ بِأَسْرَارِ الْأَذَانِ

تَأَلَّفَ

العلامة علي بن ابراهيم الأمير

الصفهاني اليمني

الدار اليمنية
للنشر والتوزيع



مع تحيات إخوانكم في الله

ملتقى أهل الحديث

ahlalhdeeth.com

خزانة التراث العربي

khizana.co.nr

خزانة المذهب الحنبلي

hanabila.blogspot.com

خزانة المذهب المالكي

malikiaa.blogspot.com

عقيدتنا مذهب السلف الصالح أهل الحديث

akidatuna.blogspot.com

القول الحسن مكتب الكتب الصوتية المسموعة

kawlhassan.blogspot.com



تَشْنِيفُ الْأَذَانِ بِأَسْرَارِ الْأَذَانِ

مع تحيات إخوانكم في الله

ملتقى أهل الحديث

ahlalhodeeth.com

خزانة التراث العربي

khizana.co.nr

خزانة المذهب الحنبلي

hanabila.blogspot.com

خزانة المذهب المالكي

malikiaa.blogspot.com

عقيدتنا مذهب السلف الصالح أهل الحديث

akidatuna.blogspot.com

القول الحسن مكتب الكتب الصوتية المسموعة

kawlhassan.blogspot.com

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

توزيع


دار المنهل
للطباعة والنشر والتوزيع

تليفون : ٨١٤٧١٦
٨١٤٦٩٧
ص.ب : ٥٦٤٥ / ١٤
بيروت - لبنان


الدار اليمنية
للنشر والتوزيع

تَشْنِيفُ الْأَذَانِ بِأَسْرَارِ الْأَذَانِ

تَأَلِيفُ

العلامة علي بن ابراهيم الأمير

الصنعاني لمبني

المتوفى سنة ١٢١٩ هـ

تحقيق

عبدالله محمد الحبشي

الدار اليمنية
للنشر والتوزيع



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، حمداً يملأ سماءه وأرضه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد . . منذ بدأت [الدار اليمنية للنشر والتوزيع] في نشر التراث اليمني، وهي تبحث جاهدة عن أي كتاب، تستطيع بواسطته أن تُعرّف بالأدب اليمني شعراً أو نثراً، في مجال التاريخ، أو الفقه، والحديث أو النحو والصرف؛ همّها الأول والأخير هو إبراز الوجه المضيء للفكر في اليمن.

وليس هذا تحيزاً أو إقليمية - نحن نمقتها - فالفكر لا وطن له ولا حدود تسجنه ضمنها، ولكن نظراً للظروف التي عاشها اليمن وطمر الفكر اليمني - الفتي بموجوداته ومحتوياته، تحت ركام التخلف، والحصار الثقافي الذي فرض عليه، فإن رسالتنا تقتضي أن نعمل جاهدين، على إخراج هذا التراث العظيم، وتعريف العالم العربي والإسلامي به.

ونحن لا نبغي وراء ذلك كسباً مادياً، بل الغاية - كما قلنا في كتب سبق نشرها - هو إرضاء القارئ والباحث، ووفاء أدبياً للمفكر والعالم اليمني الذي أمضى أكثر سنين عمره يؤلف ويجمع ويعمل، وفي النهاية يظل هذا الجهد رهين المحبين، الكتاب والمكتبات الخاصة التي لا يصل إليها القارئ والباحث.

وحسبنا أننا بدأنا السير، بخطى ثابتة، وبعمل مبني على الجودة وبجهد لا يعتمد تصوير الكتاب كيف كان، وكما تركه لنا مؤلفه، بل إننا نقوم بإخراجه بطريقة حديثة تواكب العصر.. ليستفيد منه كل من اطلع عليه.

آملين من الله جلّ وعلا العون، ومن القارئ الكريم القبول، وأن يلتفت نظرنا إلى أي عمل لم يكتمل.. فالكمال لله وحده، هو الهادي إلى سواء السبيل.

الداراليمينية
للنشر والتوزيع

مع تحيات إخوانكم في الله
ملتقى أهل الحديث

ahlalhodeeth.com

خزانة التراث العربي

khizana.co.nr

خزانة المذهب الحنبلي

hanabila.blogspot.com

خزانة المذهب المالكي

malikiaa.blogspot.com

عقيدتنا مذهب السلف الصالح أهل الحديث

akidatuna.blogspot.com

القول الحسن مكتب الكتب الصوتية المسموعة

kawlhassan.blogspot.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

حَمْدًا لَكَ كَمَا فَيَّأْتَنَا ظِلَالُ رِيَاضِ حَمْدِكَ الْبَدِيعَةِ الْمُنْوَالِ،
وَشُكْرًا لَكَ كَمَا بَوَّأْتَنَا غُرَفَ فَيْضِ رَفْدِكَ الْبَعِيدَةِ الْمَنَالِ، حَمْدُ
مَحْصُورٍ عَنْ حَصْرِ أَيْسَرِ بَرِّكَ، مَقْصَرٍ عَنْ آدَاءِ أَقْلِ شُكْرِكَ، وَأُنَى
يَبْلُغُ بَلِغِ الْعِبَادَاتِ أَوْ يَدْرِكُ وَسِيعِ الْإِشَارَاتِ، مَعْجَزُ شُكْرِ آلَائِكَ،
وَبَاهِرُ وَصْفِ ثَنَائِكَ، وَحَدَائِقُ نِعَمِكَ عَلَيْهِ سَابِغَةٌ، وَحَقَائِقُ كَرَمِكَ
إِلَيْهِ بَالِغَةٌ، وَمِنْ بَدِيعِ إِحْسَانِكَ الْوَاسِعِ، وَصَنَائِعِ امْتِنَانِكَ الْجَامِعِ،
إِلْهَامُهُ التَّطَلُّعُ لَطَرِيقِ الْخُشُوعِ بِالشَّنَاعَةِ عَلَيْكَ، وَإِفْهَامُهُ التَّطَلُّعُ مِنْ رَحِيقِ
الْخُضُوعِ بِالشُّكْرِ لَدَيْكَ، وَهَدَايَتُهُ لِلتَّغْذِي بِفَوَاكِهِ شُهُودِ مَنَائِحِكَ،
وَرِغَائِبُهُ بِالتَّلَذُّذِ بِمَحَاسِنِ بَدِيعِ مَحَامِدِكَ وَمَدَائِحِكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ
عَلَى الْاعْتِرَافِ بِالْعَجْزِ عَنْ حَمْدِكَ، حَمْدًا يَلِيقُ بِعَظِيمِ شَأْنِكَ،
وَعَالِي حَدِّكَ فَيَسْتَغْرِقُ مِنْهُ مَا تَرْتَضِيهِ أَنْتَ لِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، وَيَنْطَوِي
عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ مِنْهُ عَمِيمُ إِحْسَانِكَ، وَيَتَضَمَّنُ مَنْ طَلَبَ الْعَفْوَ عَنْ
الْقُصُورِ وَاسْتَجْدَاءِ الْمُسَامَحَةِ عَلَى الْحُصُورِ، مَا يُبْلِغُ بِهِ أَعْلَى
مَقَامَاتِ الْمَحَامِدِ، وَيَتَرَفَّى بِهِ إِلَى أَنْهَى مَرَامَاتِ كُلِّ حَامِدٍ.

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَفْضَلِ قَائِمِ بُوظَائِفِ الْعُبُودِيَّةِ، وَأَكْمَلِ عَالَمِ
بِمَعَارِفِ الرُّبُوبِيَّةِ، مُحَمَّدٍ الَّذِي اخْتَرْتَهُ لَارْتِشَافِ سَلْسَالِ مَحَبَّتِكَ،
وَأَهْلَتَهُ لَتَلْقَى مَوَاهِبَ خَلْقِكَ، وَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِمُضْمَرَاتِ أَسْرَارِكَ،
وَأَفْضَتْ عَلَيْهِ تَجَلِّيَاتِ أَنْوَارِكَ، وَاخْتَصَصْتَهُ بِشَرَفِ قُرْبِكَ، وَاصْطَفَيْتَهُ

لغرف حُبِّكَ، حتَّى أَظْهَرْتَ به أَسْرَارَ تَوْحِيدِكَ، وشَهَرْتَ به أنوارَ تَفْرِيدِكَ، فَبَهَرْتَ الْعِبَادَ آيَاتُهُ، وَقَهَرْتَ ذَوِي الْعِنَادِ مَعْجَزَاتُهُ، وَعَمَّتْ دَعْوَتُهُ الْأَنْجَادَ وَالْأَغْوَارَ، وَمَلَأَتْ رَحْمَتُهُ سَائِرَ الْأَقْطَارِ، فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الدَّاعِي إِلَيْكَ، وَالذَّال لِكُلِّ جَمِيعِ الْخَلْقِ عَلَيْكَ، وَالْمُنَادِي لِأَهْلِ الصَّلَاحِ بِحَيِّ عَلَى الْفَلَاحِ، فِي كُلِّ غُدُوٍّ وَرُوحٍ، وَعَلَى آلِهِ أَوَّلَ مَنْ لَبَّى دَعْوَتَهُ وَأَجَابَ، وَأَمَّنَ عَلَى دُعَائِهِ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ، الْمَخْصُوصِينَ مِنْهُ بِلَطَائِفِ النِّسْبَةِ وَالْقَرَابَةِ، وَالْقَائِلِينَ مِنْ شَرَفِ الْإِعْتِزَالِ إِلَيْهِ فِي الرِّيَاضِ الْمُسْتَطَابَةِ، الشَّاهِدُ عَدْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لِمُحِبِّهِمْ وَمُؤَالِيهِمْ بِصَحِيحِ الْوَقَايَةِ وَالْجَنَّةِ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ الْمُقِيمِينَ عَلَى مَنَاهِجِ الرَّشَادِ، وَالْقَائِمِينَ عَلَى قَدَمِ السُّلُوكِ وَالسَّدَادِ.

أَمَّا بَعْدُ فَهَذِهِ رِسَالَةٌ مِنْ فَتْحِ الْعَلِيمِ، وَمَقَالَةٌ مِنْ مَنَحِ الْكَرِيمِ، أَبْرَزْتُهَا مِنْ رُسُومِ الْفِكْرِ الْقَاصِرِ، وَأَفْرَغْتُهَا مِنْ رِقُومِ الْفَهْمِ الْحَاطِرِ، فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْرَارِ الْأَذَانِ، وَيَسِيرٍ مِنْ مَعَانِيهِ الْحِسَانِ، فَإِنْ أَصَبْتُ بِمَا أَوْدَعْتُهَا، وَأَحْسَنْتُ بِمَا اسْتَوْدَعْتُهَا، فَمِنْ فَضْلٍ مَنْ لَا فَضْلَ إِلَّا لَهُ، وَمِنْ فَيْضٍ مَنْ أَفَاضَ عَلَى الْقَلْبِ نَوَالَهُ، وَإِنْ أَخْطَأْتُ مَوَاقِعَ الْإِحْسَانِ، وَجَهِلْتُ طَرِيقَ الْإِسْتِحْسَانِ، فَجَهْلِي أَوْضَحُ أَعْذَارِي، وَإِقْرَارِي بِقُصُورِي أَبْلَغُ مِنْ أَعْتِذَارِي، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يُنِيرَ بِمَصَابِيحِهَا كُلَّ مَنْهَجٍ، وَأَنْ يُسَهِّلَ بِمِفَاتِيحِهَا كُلَّ مَرْتَجٍ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ وَأَنْ يُجِيرَنَا مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا حَتَّى يَسْمَعَ الْقَلْبُ كَلَامَ اللَّهِ وَيَبْلُغَ مِنَ الْإِيمَانِ مَأْمَنَهُ، إِنَّهُ هُوَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ، وَالْبَرُّ الرَّحِيمُ، آمِينَ آمِينَ .

الله أكبر

إِعْلَمْ أَيُّهَا السَّامِعُ بِإِذْنِ قَلْبِكَ وَفَقْنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ لَامِثَالٍ أَمْرٍ رَبِّي وَرَبِّكَ، أَنَّ الصَّلَاةَ أَعْظَمُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَأَجَلُ قَوَاعِدِ الْإِيمَانِ، وَهِيَ قَرْبَانُ الْمُؤْمِنِ وَنُورُهُ، وَهِيَ عَمُودُ الدِّينِ وَعَمُودُ الْإِيمَانِ وَالْمِيزَانُ الَّذِي مِنْ أَوْفَى بِهِ اسْتَوْفَى، وَهِيَ خِدْمَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَهِيَ خَيْرُ مَوْضُوعٍ فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَكْثِرَ فَلْيَسْتَكْثِرْ، وَهِيَ قَرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ وَلَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالْكُفْرِ إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ.

وَلَمَّا كَانَتْ مِنْ أَعْظَمِ شَعَائِرِ الْإِيمَانِ، كَانَ مِنْ أَعْظَمِ شَعَائِرِهَا الْأَذَانُ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَزَالُ يَتَقَلَّبُ فِي الْأَطْوَارِ، وَيَنْتَقِلُ فِي طَلَبِ الْأَوْتَارِ، لَا هَيَأَ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ دَنْسِ دُنْيَاهُ، عَمَّا خَلَقَ لَهُ مِنْ طَاعَةِ مَوْلَاهُ، مَشْغُولًا بِمَا يَنْبَغِي الْإِشْتَغَالُ عَنْهُ فَإِذَا دَخَلَ وَقْتُ الصَّلَاةِ احْتِاجَ إِلَى مَا يَحْتَنُّ عَلَيْهَا، وَيُرَغَّبُ إِلَيْهَا، لِئَلَّا يَلْهُو عَنْهَا بِأَعْمَالِهِ، وَيَتَشَاغَلَ عَنْهَا بِأَشْغَالِهِ، فَكَانَ الْأَذَانُ هُوَ الْمُرْغَبُ إِلَى أَدَائِهَا، وَالْمُحَرِّكُ لِلْهَمَّةِ إِلَى إِجَابَةِ نِدَائِهَا، وَكَانَ أَوَّلَ لَفْظٍ يَقْرَعُ السَّمْعَ مِنْهُ، (الله أكبر) زَجْرًا عَنِ الْإِشْتَغَالِ بِمَا هُوَ دُونَهُ، إِذْ مِنْ شَأْنِ كُلِّ إِنْسَانٍ بِالطَّبَعِ أَنْ يَطْلُبَ أَكْبَرَ الْأُمُورِ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلْيَفْرَغْ إِلَى مَنْ هُوَ أَكْبَرُ. فَاخْتِيارُ هَذَا اللَّفْظِ لِدَلَالَةِ الْإِسْمِ الشَّرِيفِ عَلَى جَمِيعِ صِفَاتِ

الكمال ونُعُوتِ الجلال واشتماله على سائر الأسماءِ الحُسْنى والصِّفاتِ العُلَى والاختصاصِ بالحقيقِ بالِإِلَهِيَّةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. وأكبرُ أفعُلُ التفضيلِ الدَّالُّ على عمومِ متعلقه حدُّقُ فلا شيء مما يخطر بالبال أو يجوزه الوهم والخيال إلا والله أكبر منه ولا يخفى لطف هذا وَحْثُهُ على تركِ السوى، وعلى اجتماع القلب عليه سبحانه وتعظيمه والثناء عليه واستحضار عظمته وكبريائه وجلاله واستحقاقه لجميع أجزاء المَحَامِد، وإفراد الشُّكْرِ ودقائق المدح ولهذا كان التكبير مفتاح الصَّلَاةِ لِقُدُومِ العبدِ من غربة الأغْيَارِ إلى حضرة مَنْ لَا تُذَرِكُهُ الأبصارُ ليستحضر في صلاته أنه بين يدي الملكِ الفَعَّالِ لِمَا يريد المذلَّ لكلِّ جَبَّارٍ عنيدٍ، والِإِلَهِ الحقِّ الذي كُلُّ الكائناتِ لا شيء بالنسبة إليه ﴿وهو الله في السَّمَوَاتِ وفي الأرضِ يعلم سِرَّكُمْ وجَهْرَكُمْ ويعلم ما تكسبون﴾^(١) فكما كان التكبير مفتاح الصَّلَاةِ كان مفتاح الأذان لأنَّه يفتح القُلُوبَ بِذِكْرِ عِلَامِ الغُيُوبِ، وقد قال صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم: إذا سمعتم المؤذن فقولوا اللهم افتح أقفال قلوبنا بِذِكْرِكَ، وأتمِّمْ علينا نِعْمَتَكَ من فضلك واجعلنا من عبادِكَ الصَّالِحِينَ. أخرجه ابن السني^(٢) عن أنس رضي الله عنه.

(١) الآية ٣ سورة الأنعام.

(٢) انظر ابن السني في عمل اليوم والليلة.

وابن السني هو أبو بكر أحمد بن محمد بن السني الدينوري من العلماء الأجلَاء أَلَفَ عدة مؤلفات مفيدة وتوفي فجأة وهو يكتب سنة ٣٦٤ هـ انظر الأعلام ج ١ ص ٢٠٩.

ثم إنه لما كان التكبيرُ أوَّل الأذان كُرِّر أربع مرَّات تأكيداً لأن السَّامِع في بادئ الأمرِ متشاغل بما هو فيه فحسن التأكيد هناك زيادة في حفْضه على الإقبال واطراح الأشغال وإطفاء لنار الشيطان وإخماداً لجمرات المعاصي والطغيان، فإن التكبير مجرَّب لإطفاء النيران، وقد وَرَدَ عن النَّبي صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: إذا رأيتم الحريق فكبروا فإن التكبير يُطفئُه. أخرجه ابن السنِّي^(١) وابن عدي^(٢) وابن عساكر^(٣)^(٤)، وسيأتي قريباً حديث تحترقون تحترقون فإذا صليتم الفجر غسلتها، وحديث قوموا فاطفئوا نيرانكم، ولما كانت نيران الشَّهوات تشتعل في كُلِّ آنٍ، وجمرات المَعاصي تتسَعَّرُ على كلِّ إنسان كان في التكبير من الإطفاء لها ما لا يخفى على أهل العرفان ومن هنا يظهر سِرُّ الحديث الذي أخرجه مسلم^(٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم (إن الشَّيْطَانَ إذا سمع النداء بالصَّلَاةِ أجال له ضراط حتى لا

(١) انظر ابن السنِّي في عمل اليوم والليلة ومثله في الأذكار للنوي ص ٢٥٤، ط دار الفكر.

(٢) ابن عدي هو عبدالله بن عدي بن محمد الجرجاني من علماء الحديث ولد سنة ٢٧٧ وتوفي سنة ٣٦٥ له كتاب «الكامل في الاستعفاء والمتروكين وغيره». انظر الأعلام ج ٤ ص ١٠٣.

(٣) هو المحدث والمؤرخ العلامة أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر من حفاظ الحديث له تاريخ دمشق وغيره توفي سنة ٥٧١ (انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٧٣).

(٤) نقل المؤلف رحمه الله الحديث ورواته من كتاب الجامع الصغير للسيوطي (في حرفه) وانظر أيضاً الفتح الكبير ج ١ ص ١١٣.

(٥) انظر صحيح مسلم الكتاب الرابع الحديث ١٥-٢ والكتاب الخامس الحديث ٨٣.

يسمع صوته فإذا سكت رجع فوسوس فإذا سمع الإقامة ذهب حتى لا يسمع صوته فإذا سكت رجع فوسوس^(١).

لأن الشيطان من مارج من نار فإذا سمع التكبير خاف على نفسه فأدبر ويظهر أيضاً من هنا سر تكبير النّقل فإنه يكون طرداً للشيطان لأنه يأتي بالوسواس في الصّلاة فالتكبير لإطفاء جمرات الوسواس في الصلاة ولاستحضار عظمة ربّ الناس.

وفي تربيع التكبير في أوّل الأذان إشارة إلى أوّل صلاة صلاها جبريل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهي صلاة الظّهر كما أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: أمّني^(٢) جبريل عليه السلام عند البيت مرتّين فصلّى بي الظّهر حين زالت الشمس وكانت قدر الشّراك^(٣)، وصلّى بي العصر حين صار ظلّ كل شيء مثله، وصلّى بي المغرب حين أفطر الصّائم، وصلّى بي العشاء حين غاب الشّفق، وصلّى بي الفجر حين حرّم الطعام والشراب على الصّائم، فلمّا كان الغد صلّى الظّهر حين كان ظله مثله، وصلّى بي العصر حين كان ظله مثله، وصلّى بي المغرب حين أفطر الصّائم، وصلّى بي العشاء إلى ثلث الليل، وصلّى بي الفجر فأسفّر ثم التفت إليّ [جبريل عليه السّلام]^(٤) فقال لي: يا محمّد هذا وقت الأنبياء من قبلك والوقت ما

(١) انظر هذا الحديث أيضاً في الفتح الكبير ج ١ ص ٣٠٦.

(٢) أي في الصلاة.

(٣) الشراك هو سير النعل (المصباح المنير ص ٣١١)

(٤) ساقط من الأصل والزيادة من الأصول.

بين هذين الوقتين^(١) . انتهى .

وفي أعداد كلمات الأذان إشارة ومُناسبة بينها وبين أعداد الصَّلوات ، وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى في هذه الرسالة .

(١) انظر الحديث بنصه في الجامع الصغير ومثله في الفتح الكبير ج ١ ص ٣٦٤ .

مع تحيات إخوانكم في الله

ملتقى أهل الحديث

ahlalhdeeth.com

خزانة التراث العربي

khizana.co.nr

خزانة المذهب الحنبلي

hanabila.blogspot.com

خزانة المذهب المالكي

malikiaa.blogspot.com

عقيدتنا مذهب السلف الصالح أهل الحديث

akidatuna.blogspot.com

القول الحسن مكتب الكتب الصوتية المسموعة

kawlhassan.blogspot.com

أشهد أن لا إله إلا الله

وَإِذَا سَمِعَ السَّامِعَ التَّكْبِيرَ بِسَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَاجْتَمَعَ لِأَدَاءِ مَا نُوْدِي إِلَيْهِ بِجَوَارِحِهِ وَلَبَّهِ، وَالتَفَتَ إِلَى الْأَكْبَرِ الْأَعْظَمِ سَمِعَ قَوْلَ الْمُنَادِي (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) تَذْكِيراً لِلْسَّامِعِ بِذَلِكَ لِيَحْضَهُ عَلَى الْاِلْتِفَاتِ إِلَى إِلَهِهِ الْمُتَفَرِّدِ بِالْأُلُوْهِيَّةِ، وَالتَفَرَّعِ عَنْ أَشْغَالِهِ وَأَعْرَاضِهِ وَالْقِيَامِ بِطَاعَتِهِ وَالْفِرَارِ إِلَيْهِ وَالْوُقُوفَ بِكَلِّيَّتِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَنَفْيِ مَا سِوَاهُ وَإِثْبَاتِهِ فَرْدًا مَخْتَصًّا بِالْأُلُوْهِيَّةِ مُتَفَرِّدًا بِالرُّبُوبِيَّةِ حَقِيقًا بِالْإِجْلَالِ، أَهْلًا لِلْعِزَّةِ وَالْكَمَالِ مَعْرُوفًا بِالْخَيْرِ وَالْإِفْضَالِ مُتَعَرِّفًا إِلَى خَلْقِهِ بِالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ، مُسْتَدِيًّا دَقَائِقَ الْجُودِ وَجَلَائِلَهُ إِلَى كُلِّ إِنْسَانٍ.

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ^(١) عَنْ عَتَبَانَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَرْفَعُهُ: لَا يَشْهَدُ أَحَدٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَيَدْخُلُ النَّارَ أَوْ تَطْعَمَهُ.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» أَخْرَجَهُ الْبُزَارِيُّ^(٢) عَنْ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أَبْشُرُوا وَبَشُرُوا مِنْ وَرَائِكُمْ [أَنَّهُ]^(٣) مَنْ شَهِدَ

(١) صحيح مسلم الكتاب الأول الحديث ٥٤.

(٢) انظر الحديث في الفتح الكبير ج ٣ ص ٢٠٣ عن الجامع الصغير للسيوطي.

(٣) ساقط من الأصل والزيادة من الجامع الصغير.

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ صَادِقاً بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ أَبِي مُوسَى، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْشَةٌ فِي الْمَوْتِ وَلَا فِي الْقَبْرِ^(١) وَلَا فِي النَّشُورِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ عِنْدَ الصَّيْحَةِ يَنْفُضُونَ رُءُوسَهُمْ مِنَ التَّرَابِ يَقُولُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ^(٢). أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إِذَا قَالَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَرَقَتْ السَّمَوَاتُ حَتَّى تَقِفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُولُ: اسْكُنِي فَتَقُولُ: كَيْفَ أَسْكُنُ وَلَمْ تَغْفِرْ لِقَائِي فَيَقُولُ: مَا أَجْرِيكَ عَلَى لِسَانِهِ إِلَّا وَقَدْ غُفِرَتْ لَهُ. أَخْرَجَهُ الدَّيْلَمِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَمَّا تَأْكِيدُ تَكَرَّارِهَا فَتَأْكِيدٌ وَحُضُّ عَلَى الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ بِالْقَلْبِ وَالْقَالِبِ وَالتَّلَذُّ بِذِكْرِهِ، وَحَلَاوَةُ الْمَكْرَرِ يَعْرِفُهَا ذَوُو الذُّوقِ السَّلِيمِ، وَلَطْفُ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالشَّهَادَةِ ظَاهِرٌ، لِأَنَّهُ لَمَّا أَخْبَرَ أَنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ كَانَ تَرْغِيئاً لِلْعَبْدِ فِي تَرْكِ مَا سِوَى الْأَكْبَرِ وَأَمْرًا لَهُ بِالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ وَالْوُقُوفِ بِالذَّلِّ بَيْنَ يَدَيْهِ وَبِاسْتِشْعَارِ الْخُضُوعِ وَمَلَاظِمَةِ الْخُشُوعِ، ثُمَّ أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ بِمَا هُوَ أَعْلَى تَرْقِيئاً وَهُوَ نَفْيُ الْأُلُوْهِيَّةِ عَنْ سِوَاهُ، وَحَصْرُهَا فِيهِ تَرْهِيئاً لِلْعَبْدِ عَنْ تَسَاهُلِهِ فِي طَاعَةِ إِلَهِهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وَإِذَا كَانَ الْأَكْبَرُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ شَهَادَةُ الْحَقِّ فَكَيْفَ يَلِيقُ بِالْعَبْدِ الْمَضْطَرِّ إِلَيْهِ أَنْ يَشْتَغَلَ

(١) أَنْظَرَ الْحَدِيثَ فِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ لِلْسَيُوطِيِّ عَنِ الْفَتْحِ الْكَبِيرِ ج ١ ص ١٧.

(٢) رَوَاةُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ بِالْجَمْعِ (الْقُبُور).

عنه، وهو الذي خَلَقَ فسوًى والذي قَدَّرَ فَهْدًى والذي أخرج المرعى،
والذي أخرجَه من ظلماتٍ ثلاثٍ والذي غَذَّاه في بطن أُمِّه حيث لا
يصل إليه صديق رفيق ولا أخ شقيق ولا أب شفيق ولا أم رقيقة،
وأخرجَه من بطن أُمِّه فريداً وحيداً عرياناً لا يملك شيئاً، فَيَسَّرَ له
الرِّزْقَ بعد أن أخرجَه من الظُّلْمَةِ إلى النُّورِ ومن الضيق إلى السَّعة،
وأبرزَه من العدم إلى الوجود، وحباه منه بواسع الفضل والجود،
وجعل له لبن أُمِّه غذاءً لَمَّا كان لا يقدر على مضغ الطعام، ولا
يمكنه تناولُ الشرابِ فجعل له اللَّبَنَ قائماً مقام الطعام والشراب رحمة
منه وفضلاً ورأفةً ومناً، ورقَّقَ له قلب أُمِّه بعد أن قاست من حَمْلِهِ
شدائد عظيمة وعظائم شديدة (حملته أُمُّه كرهاً ووضَعَتْهُ كرهاً أو
حملة وفصاله ثلاثون شهراً)^(١) وكان قياس القضية أن تُعاديهِ وتبغضه
لما نالها في حملة من التَّعبِ ومَسَّها في وضعه من النَّصب، فلم
يكن إلا أحب الخلق إليها تسهر لأجله اللَّيالي ذوات العدد، وتصبر
على مشقَّة ارتضاعه منها وإن آلمها وشق عليها، ثم أُنبَتَ له
سبحانه الأسنان ترتيلاً وأُطْلِعَها له قليلاً قليلاً لعلمه سبحانه أنه عند
كبره لا يكفيهِ اللَّبن عن الطعام، وجعل له قوة حاملة يداً يحمل بها
ما يريد تناوله، وجعل فيها أصابع ينتفع بها لأخذ ما يريد، وعينين ينظرُ
بهما ما يضره وما ينفعُهُ فلا يلقي نفسه في حفرة ولا يأخذ بيده ناراً
تؤْلِمُهُ ونحوها، وجعل له أذنين يسمع بهما فيجيب من دعاه
ويصغي لمن خاطبه وناداه، إلى غير ذلك مما تقتضيه الحضرة

(١) أنظر الجامع الصغير عن الفتح الكبير ج ٣ ص ٦١.

الإلهية فإذا استحضر ذلك تجمّع لقضاء ما فرضه عليه، وعلم أن هذا الإله الحق أحق بأن يُطاع وأن كل شيء سواه، جدير بأن يهمل وأن يضاع، ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾^(١).

(١) سورة الزخرف الآية ٨٤.

أشهد أن محمداً رسول الله

ثم إنه حسنُ إتباعِ الشهادة بأختها وهي : «أشهدُ أنَّ محمداً رسولُ الله» صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأنها لا تُقبل هذه إلا بهذه وللإعلام بأنَّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بابُ الله الذي منه الدُّخول والطريق الذي منها إليه الوُصول :

وأنتَ بابُ الله أيُّ امرئٍ أتاه من غيرك لا يدخلُ

فالتَّكْبِيرُ لإيقاظِ الفكرة لمراجعة الفطرة والشهادة لله سبحانه وتعالى بالإلهية لإدراك التَّبري من الإِشراك، والشهادة لمحمد صلى الله عليه وعلى آله بالرسالة للإقرار بما جاء به المختار من الملك الجَبَّار للبراءة من النار. قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقد سمع مؤذناً قال الله أكبر الله أكبر فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم على الفطرة فقال أشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم بريء هذا من الشرك فقال أشهدُ أنَّ محمداً رسولُ الله قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم خَرَجَ من النَّارِ. أخرجهُ أبو الشيخ في الأذان. وفي التذكير به صلى الله عليه وعلى آله وسلم والشَّهادة برسالته من الحُض على اتِّباعه واقتفاء آثاره في الأقوال والأفعال والحركات والسكنات والقيام بأمره وإجابة داعيه والإصغاء إلى

مناديه وزيادة ترغيب إلى الصَّلَاة التي جُعِلَتْ قُرَّةَ عينه فيها ما لا يخفى وإظهاراً لشرفه صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلم وإغاضة لمن لم يقبل دعوته ولم يعد بإجابته وإعلاناً لدينه الذي جاء به من عند الله سبحانه وتذكيراً لمحبة له صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلم وترويحاً للمشوق إليه ولإتباع التلذذ بذكر الله سبحانه بذكر حبيبه للانشراح بذكر الأحاب ولئلا يتخلى عباده عن ذكره صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلم وليكون ذكره مبدأ للصلاة وختاماً فإنَّه كما جاء في الأذان الذي هو نداء للصلاة ودعاء إليها الشهادة له بالرسالة كذلك جاء في التَّشَهُّد الذي هو آخر الصَّلَاة الشَّهَادَةُ له صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلم بالرسالة بعد السلام عليه وقبل الصَّلَاة عليه صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلم إشارةً إلى أنَّه بهذه العبادة العظيمة سرّاً لندائه، وبهذه النعمة الجسيمة كنز النهاية وأنه الأوّل باعتبار بدء الخلق منه (أوّل ما خلق الله نور نبيك يا جابر) ^(١) والآخر باعتبار ختم الرسل به ﴿ما كان محمدٌ أباً أحَدٍ من رِجَالِكُمْ ولكن رسول الله وخاتم النبيّين﴾ ^(٢) فهو براعة استهلال النبيّين وحسن ختام المرسلين،

(١) حديث أوّل ما خلق الله نور نبيك يا جابر. رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله بلفظ قال: قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أوّل شيء خلقه الله قبل الأشياء قال: يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك يدور بالقدرة حيث شاء الله ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة - الحديث. كذا في المواهب وقال فيها أيضاً واختلف هل القلم أوّل المخلوقات بعد النور المحمدي أم لا فقال الحافظ أبو يعلي الهمداني: الأصح العرش قبل القلم (كشف الإلباس ج ١ ص ٣١٢).

(٢) الآية ٤٠ سورة الأحزاب.

وبه حسن التخلص لمن أجابه من المسلمين :

فَأَدِمَ فِي النُّبُوَّةِ وَالْمَعَالِي لبدر محمد كان الهللا

وأخرج أبو الشيخ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال :
كان مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم رجلان أحدهما لا
يكاد يفارقه، ولا يعرف له كثير عمل، وكان الآخر لا يكاد يُرى ولا
يعرف له كثير عمل . فقال الذي لا يفارق رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله وسلم : يا رسول الله ذهب المصلُّون بأجر الصلاة وذهب
الصَّائِمُونَ بأجر الصَّيَامِ وما عندي إلَّا حُبُّ الله تعالى ورسوله صلى
الله عليه وعلى آله وسلم ، قال صلى الله عليه وعلى آله
وسلم : فإن لك ما احتسبت وأنت مع من أحببت^(١) ، وأمَّا الآخر
فمات فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأصحابه : هل
علمتم أن الله تعالى أدخل فلاناً الجنة؟ فتعجب القوم بأنه كان لا
يرى، فقام بعضهم إلى امرأته فسأل امرأته عن عمَله فقالت ما كان
في ليل ولا نهار ولا على أيِّ حال ما كان فقال المؤذِّن (أشهد أن لا إله
إلَّا الله) إلَّا قال مثل قوله أقرَّ بها وأكفر من أبي ذلك وإذا قال (أشهد أن
محمدًا رسول الله) قال مثل هذا، فقال الرَّجُل : بهذا الحديث دخل
الجنة .

فائدة

قد ذهب جماعة من أهل العلم إلى وجوب الصَّلاة على النبي

(١) حديث أنت مع من أحببت أخرجه البيهقي عن أنس بن مالك أنظر الفتح الكبير
ج ١ ص ٢٧٦ .

صلى الله عليه وعلى آله وسلم كلما ذكر، منهم الطحاوي^(١) والحليمي^(٢) والإسفرائيني^(٣) والحافظ بن عساكر. وقال أبو بكر الطرطوشي^(٤) أن الأمر في الآية^(٥) يقتضي التكرار وهو مذهب الإسفرائيني، وحكاه^(٦) أيضاً عن الشهاب بن أبي حجلة^(٧) والفاكهاني^(٨) نقله عنهم السخاوي^(٩) وقال

(١) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، انتهت إليه رئاسة الحنفية في مصر وأصله من طحا بصعيد مصر رحل إلى الشام واتصل بابن طولون فكان من خاصته وهو ابن أخت المزني صاحب الشافعي. من مؤلفاته شرح مضار الآثار وغيره توفي سنة ٣٢١ (الأعلام ج ١ ص ٢٠٦).

(٢) هو أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني الفقيه الشافعي كان رئيس الحديث في ما وراء النهر، له كتاب المنهاج وشعب الإيمان وغيرهما توفي سنة ٤٠٣ (الأعلام ج ٢ ص ٢٣٥).

(٣) هو أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد الإسفرائيني من العلماء الأجلاء له كتب في الفقه توفي سنة ٤٠٦ (الأعلام ج ١ ص ٢١١) قلت الإسفرائيني كثر والأقرب إلى المقصود المذكور هنا لتعلقه بالمباحث الأصولية.

(٤) هو أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف القرشي الطرطوشي نسبة إلى طرطوشة من الأندلس تفقه في بلاده ورحل إلى المشرق سنة ٤٧٦ فحج وزار العراق ومصر ولبنان وسكن الاسكندرية وتوفي بها سنة ٥٢٠ له عدة مؤلفات أنظر الأعلام ج ٧ ص ١٣٣.

(٥) يعني قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

(٦) أي حكاه بعضهم ولعله السخاوي الآتي.

(٧) هو الفقيه الأديب أبو العباس أحمد بن يحيى التلمساني من أهل تلمسان سكن دمشق له عدة كتب توفي سنة ٧٧٦ (الأعلام ج ١ ص ٢٦٩).

(٨) هو الفقيه تاج الدين عمر بن علي بن سالم الاسكندري اللخمي ولد بالاسكندرية وزار دمشق سنة ٧٣١ له عدة كتب في فقه المالكية توفي سنة ٧٣٤ (الأعلام ج ٥ ص ٥٦).

(٩) أي في كتابه (القول البديع في الصلاة على النبي الشفيع) ص
والسخاوي هو شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي ولد سنة =

القسطلاني^(١) في (المواهب اللدنية) عن القائلين بالوجوب والدليل من حيث المعنى أن فائدة الأمر بالصلاة عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم مستمر فتأكد إذا ذكر صلى الله عليه وعلى آله وسلم . واستدلوا أيضاً بقوله تعالى ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾^(٢) فلو كان إذا ذكر صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يصلى عليه كان كأحاد الناس ، انتهى .

وأما الأحاديث الدالة على الوجوب فعن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : البخيل من ذكرتُ عنده فلم يُصلِّ عليَّ . أخرجه الترمذي وصححه ابن حبان وأخرجه الإمام أحمد والنسائي عن الحسين بن علي عليهما السلام وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب وأخرجه الحارث عن عوف بن مالك بلفظ : أبخل الناس من ذكرت عنده ولم يصلِّ علي .

وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن الحسن مرسلاً : كفى به شحاً أن أذكر عند رجل فلا يُصلي عليَّ . وأخرج البيهقي في الشعب

= ٨٣١ وبرع في علم الحديث والتفسير والفقه والتاريخ له عدة مؤلفات توفي سنة ٩٠٢ (الأعلام ج ٦ ص ١٩٤) .

(١) هو ابو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني من علماء الحديث له شرح البخاري والمواهب اللدنية المذكور وهو في السيرة توفي سنة ٩٢٣ (الأعلام ج ١ ص ٢٢٢) .

(٢) الآية ٦٣ سورة النور .

عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه أن: البخيل كل البخيل من
ذُكِرَتْ عنده فلم يُصلِّ عليّ .

وأخرج ابن حبان في صحيحه عن قتاده مُرسلاً: من الجفأ أن
أذكر عند رجل فلم يُصلِّ عليّ .

وأخرج ابن السُّني عن جابر رضي الله عنه يرفعه إلى النبي
صلّى الله عليه وعلى آله وسلم: من ذُكِرَتْ عنده فلم يُصلِّ عليّ فقد
شقي .

وأخرج الطُّبراني في الكبير عن الحسين بن علي عليهما
السلام عن النبي صلي الله عليه وعلى آله وسلم: من ذُكِرَتْ عنده
فخطى الصّلاة علي خطى طريق الجنّة .

وأخرج ابن ماجه والطُّبراني في الكبير عن حبر الأُمّة ابن عبّاس
رضي الله عنهما عن النبي صلي الله عليه وعلى آله وسلم: من نسي
الصلاة علي خطى طريق الجنّة . وأخرجه البيهقي في الشعب عن
أبي هريرة رضي الله عنه وأخرجه الإمام عبدالرزاق الصنعاني عن
محمد بن علي عليهما السلام .

وأخرج النسائي وابن السُّني عن أنس رضي الله تعالى عنه عن
النبي صلي الله عليه وعلى آله وسلم: من ذُكِرَتْ عنده فليصلِّ عليّ
ومن صليّ عليّ مرّة صلي الله تعالى عليه عشراً .

وأخرجه النسائي عنه بلفظه : فإنه من صلى عليّ مرة . . وباقى الحديث كالرواية الأولى .

وأخرج الحاكم في تاريخه عن جابر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : حسب امرئ من البخل إذا ذكرت عنده أن لا يصلي عليّ .

وأخرج الديلمي عن عبدالله بن جواد عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ناداني جبريل من تلقاء العرش فقال لي : يا محمد يقول لك الرحمن عزّ وجلّ : من ذكرت بين يديه فلم يصلّ عليك دخل النار .

وأخرج الطبراني عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : شقي عبدٌ ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ .

وأخرج ابن أبي شيبة والبخاري عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : ارتقى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على المنبر فرقى درجةً فقال : آمين ثم ارتقى درجةً فقال : آمين ثم ارتقى الثالثة فقال : آمين . ثم استوى فجلس فصلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال أصحابه رضي الله عنهم^(١) : على ما أمّنت؟ فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أتاني جبريلُ عليه السّلام فقال : رغم أنف امرئ أدرك أبويه أو أحدهما فلم يدخل الجنة ، قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : قُلْتُ آمين ، ورغم أنف امرئ أدرك

(١) في القول البديع ص ١٤١ بزيادة «أي نبي الله» .

رمضان ولم يغفر له ، قال صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلم : قلت آمين ، ورغم أنف امرئ ذكرت عنده^(١) فلم يصل عليك ، قال صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلم : قلت آمين . وفي بعض الروايات عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : فأبعده الله فدخل النار قل آمين فقلت : آمين في الثلاثة المواضع . أخرجه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والبخاري في الأدب وأبو يعلى والبيهقي في الدعوات والترمذي بنحوه وحسنه^(٢) .

فإن قلت : هل وردت الصلاة على النبي صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلم عند ذكره في الأذان وروداً خاصاً؟ قلتُ أخرج الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي : إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلُّوا عليّ فإنه من صَلَّى عليّ صلاة ، صَلَّى الله عليه بها عشرأ ، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله تعالى ، وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة .

فائدة أخرى

تقدّم قريباً ذكر التّشهد والسلام على النبي صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلم فيه قبل الصلاة عليه ، فقد يقال : ما الحكمة في تقديم السّلام على الصّلاة؟ والجوابُ إنه قد ذكر هذا الإمام ابن

(١) في الأصل بهذه والصحيح من القول البديع

(٢) وانظر هذا أيضاً في القول البديع

القيّم رحمه الله تعالى ولفظ كلامه في السؤال وهو: ما الحكمة في تقديم السلام على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الصلاة قبل الصلاة عليه وهلاً وقعت البداية بما بدأ الله تعالى به في الآية، فهذا سؤال له شأن لا ينبغي الإعراض عنه صفحاً والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان شديد التحري لتقديم ما قدّمه الله والبداة بما بدأ الله سبحانه وتعالى به فلهذا بدأ بالصفاء في السعي وقال: ابدأ بما بدأ الله به وبدأ بالوجه ثم اليدين ثم الرأس في الوضوء ولم يخل بذكر مرة واحدة بل كان هذا وضوءه إلى أن فارق الدنيا لم يقدم منه مؤخراً، ولم يؤخر منه مقدماً قط ولا يقدر أحدٌ ينقل عنه خلاف ذلك بإسناد صحيح ولا حسن ولا ضعيف ومع هذا فوقع في الصلاة تقديم السلام وتأخير الصلاة عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وذلك لسرٍّ من أسرار الصلاة نشير إليه بحسب الحال، وهو أن الصلاة قد اشتملت على عبودية جميع الجوارح والأعضاء مع عبودية القلب فلكل عضوٍ منها نصيبه من العبودية فجميع أعضاء المصلي وجوارحه متحركة في الصلاة عبودية لله تعالى وذلاً له وخضوعاً، فلما أكمل المصلي هذه العبودية وانتهت حركاته، ختمت بالجلوس بين يدي الرب تعالى جلوس تذللٍ وانكسارٍ وخضوعٍ لعظمته عز وجل كما يجلس العبد الذليل بين يدي سيده وكان جلوس الصلاة أخشع ما يكون من الجلوس وأعظمه خضوعاً وتذلاً، فيأذن للعبد في هذه الحال بالشاء على الله تعالى بأبلغ أنواع الثناء وهو التحيات لله والصلوات والطيبات فأثنى على الله تعالى وأخبر أن ذلك وصفٌ له وملك، وكذلك الصلوات كلها لله

فهو الذي يُصَلَّى له وحده لا لغيره وكذلك الطَّيِّبات كلها من الكلمات والأفعال كلها لله فكلماته طيبة، ومنه وإليه وله ملكاً ووصفاً ومنه مجيئها وابتدائها وإليه مصعداها وانتهائها والصَّلاة تشتمل على عمل صالح وكَلِمٍ طَيِّبٍ (إليه يصعد الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعملُ الصَّالِحُ يرفعه)، فناسب ذكر هذا عند انتهاء الصَّلاة وقت رفعها إلى الله تعالى فلمَّا أتى بهذا إلى الرَّبِّ تبارك وتعالى التفت إلى شأن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي حصل هذا الخير على يديه فسَلَّمَ عليه أتمَّ سلام معرف باللام التي للاستغراق مقروناً بالبركة والرحمة هذا هو أصحَّ شيء في السَّلام عليه فلا يخل عليه بالألف واللام في هذا المقام، ثم انتقل إلى السَّلام على نفسه وعلى سائر عباد الله الصالحين وبدأ بنفسه لأنها أهم والإنسان يبدأ بنفسه ثم بِمَنْ يعول، ثم ختمَ هذا المقام بعقد الإسلام وهو التَّشهاد بشهادة الحق التي هي أوَّل الأمر وآخره وعندها كمل الثناء والتَّشهاد. ثم انتقلَ إلى نوع آخر وهو الدُّعاء والطلبُ فالتَّشهاد بجميع نوعي الدُّعاء والثناء والخير ودعاء الطلب والمسألة والأول أشرفُ النوعين لأنه حق الرَّبِّ ووصفه، والثاني حظُّ العبد ومصلحته. وفي الأثر، من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين. لكن لما كانت الصَّلاة أتمَّ العبادات عبوديَّةً وأكملها شرع فيها النوعين وقدم الأول منهما لفضله.

ثم انتقل المُصَلِّي إلى النوع الثاني وهو دُّعاء الطلب والمسألة فبدأ بأهمِّه وأجلِّه وأنفعه وهو طلب الصَّلاة من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو من أجلِّ أدعية العبد وأنفعها له

في دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ كَمَا ذَكَرْنَا فِي كِتَابِ (شَأْنِ تَعْظِيمِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ^(١)) وَفِيهِ أَيْضاً أَنَّ الدَّاعِيَ جَعَلَهُ مَقْدَمَةً بَيْنَ يَدَيِ حَاجَتِهِ وَطَلَبِهِ لِنَفْسِهِ وَقَدْ أَشَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ : لِيَتَّخِيزَ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ . وَكَذَلِكَ فِي حَدِيثِ فُضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ^(٢) (إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِحَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ لِيَدْعُ)^(٣) فَتَأَمَّلْ كَيْفَ جَاءَ التَّشْهَدُ مِنْ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ مُطَابِقاً لِهَذَا مُنْتَظِماً لَهُ أَحْسَنَ نِظَامٍ ، فَحَدِيثُ فُضَالَةَ هَذَا هُوَ الَّذِي كَشَفَ لَنَا الْمَعْنَى وَأَوْضَحَهُ وَبَيَّنَّه فَصَلَّوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَى مَنْ أَكْمَلَ بِهِ لَنَا دِينَهُ وَأَتَمَّ بِرِسَالَتِهِ عَلَيْنَا نِعْمَتَهُ وَجَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَحَسْرَةً عَلَى الْكَافِرِينَ . انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ .

قُلْتُ وَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بظُهُورِ مَنْاسِبَةِ لَطِيفَةٍ لِتَقْدِيمِ سَلَامِ الْمُصَلِّيِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَلَامِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَتَقْدِيمِهِ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى الدُّعَاءِ لِنَفْسِهِ وَهِيَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتِ الصَّلَاةُ عِمَادَ الْإِيمَانِ وَكَانَ الْإِيمَانُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِأَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَحَبَّ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ

(١) لَعَلَّهُ أَحَدُ كِتَابِي ابْنِ قَيِّمٍ الْجُوزِيَّةِ فِي الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَحَدُهُمَا جَلَاءُ الْأَفْهَامِ وَالثَّانِي رَبِيعُ الْأَبْرَارِ أَنْظَرُ هَدِيَّةَ الْعَارِفِينَ ج ٢ ص ١٥٨ .

(٢) هُوَ فُضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ الْأَوْسِيُّ شَهِدَ أَحَدًا وَبَيْعَةَ الرِّضْوَانِ وَوَلِيَ قَضَاءَ دِمَشْقَ لَهُ خَمْسُونَ حَدِيثًا تَوَفَّى سَنَةَ ٥٣ هـ (أَنْظَرُ خُلَاصَةَ الْخَزْرَجِيِّ ص ٣٠٨) .

(٣) حَدِيثُ فُضَالَةَ إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ الْخُ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ وَكَذَا ابْنُ خُزَيْمَةَ وَابْنُ جَبْرَةَ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ : هُوَ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ . أَنْظَرُ «الْقَوْلُ ٣١ الْبَدِيعُ» ص ١٧٧ .

نفسه وأهله وولده كان في الابتداء به بالسَّلام على النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّم قَبْلَ سَلَامِهِ على نَفْسِهِ وابتدأ به بالصَّلَاةِ عليه صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّم قَبْلَ الدُّعَاءِ لِنَفْسِهِ كمال إظهاراً لمحَبته له وإيثاره على نَفْسِهِ بما لا يؤثر به أحدٌ أحداً. وأُخْرِجَ العدني^(١) ورسته^(٢) في الإيمان عن سعيد بن المسيَّب رضي الله عنه قال: جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّم فقال: والله إني لأحبُّك فقال النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّم: لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحبُّ إليه من نفسه وأهله قال عمر رضي الله عنه: والله لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي وأهلي. وقال صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّم: والله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبُّ إليه من وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ. أخرجَه الحاكم في المستدرِك عن فاطمة بنت عتبة رضي الله عنها. وقال صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّم: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبُّ إليه من نفسه، أخرجَه الإمام أحمد. وقال صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّم: لا يؤمن أحدكم حتى كون أحبُّ إليه من نفسه وأهلي أحبُّ إليه من أهله وعِترتي أحبُّ إليه من عِترته وذاتي أحبُّ إليه من ذاته. أخرجَه عن عبد الرحمن بن أبي ليلي عن أبيه.

فائدة أخرى

تتعلَّق أيضاً بالتَّشْهيد إتماماً للفائدة ورغبةً في صلة العائِدة وهي

(١) يعني به المحدث الكبير محمد بن يحيى بن أبي عمرو العدني من أهل عدن تولى القضاء في مكة وتوفي سنة ٢٤٣ «أنظر كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص ٣٩».

(٢) كذا في الأصل ولعل في المخطوطة تصحيف. والله أعلم.

مما أطلع نجوم هداها إلى أفق الوجود وأبرز بدور سناها إلى سماء
الشهود العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى وهي أنه ما الحكمة في
أن السلام عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بصيغة الخطاب
والصلاة بصيغة الغيبة وجوابه يظهر مما تقدّم فإن الصلاة عليه صلى
الله عليه وعلى آله وسلم طلب وسؤال من الله تعالى أن نُصلي عليه
فَلَا يمكن فيه إلّا لفظ الغيبة أي لا يقال اللهم صلّ عليك. وأمّا
السلام فأتى بلفظ الحاضر المُخاطب تنزيلاً له منزلة المُواجه
لحكمةٍ بديعةٍ جداً وهي أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما كان
أحب إلى المؤمن من نفسه التي بين جنبيه وأولى بها وأقرب وكانت
الحقيقة الذهنية ومثاله العلميّ موجوداً في قلبه بحيث لا يغيب عنه
شخصه كما قال القائل :

مثالك في عيني وذكرك في فمي وحبك في قلبي فأين تغيب

ومن كان بهذه الحال فهو حاضر حقاً وغيره وإن كان حاضر
العيان فهو غائب الجنان فكأنه خاطبه خطاب المواجهة والحضور
فالسّلام عليه كذلك أولى من سلامه بالغيبة تنزيلاً له منزلة المُواجه
المعائن لقربه من القلب وحلوله في جميع أجزائه بحيث لا يبقى
في القلب جزءٌ إلّا ومحبته وذكره فيه كما قيل :

لو شق عن قلبي ترى وسطه ذكرك والتوحيد في سطر

لا إله إلّا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
ولا تستنكر استيلاء المحبوب على قلب المُحبّ وغلبته عليه حتّى

كأنه يراه ولهذا تجدهم في خطابهم لمحبوبهم إنما يعتمدون
خطاب الحضور والمُشاهدة مع غاية البعد العياني لِكَمَال القرب
الرُّوحي فلم يمنعهم بعد الأشباح عن محادثة الأرواح ومخاطبتها
ومن كشفت طباعه فهو بمعزلٍ عن هذا كله وإنه ليلغ الحبُّ
ببعض أهله أنه يرى محبوبه في القرب والبعد بمنزلة روحه التي لا
شيء أدنى إليه منها قال :

يا مقيماً طول الزّمان بقلبي وبعيداً عن ناظري وعياني
أنت روحي إن كنت لست أراها فهي أدنى إليّ من كل داني
وقال آخر :

يا ثاوياً بين الجوانح والحشا مني وإن بُعدت عليّ دياره
وإنه يلطف شأن المحب حتى يرى أنه أدنى إليه وأقرب من
روحه ثم يلطف شأنها ويقهر سلطانها حتى يغيب المحبوب
بمحبوبه عن نفسه ولا يشعر إلاّ بمحبوبه ولا يشعر بنفسه ، ومن
هنا نشأت الشطحات الصوفية^(١) التي مصدرها عن قوة الوارد،
وضعف التمييز فحكم صاحبها منها الحال^(٢) على العلم وجعل

(١) الشطح عند الصّوفية: عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى وهو من زلات
المحققين فإنه دعوى بحق يفصح بها العارف من غير إذن إلهي بطريق يشعر
بالباهة (التعريفات ص ٦٧ ط تونس).

(٢) الحال عند الصوفية أيضاً هو: معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتلاب ولا
اكتساب من طرب وحزن أو قبض أو بسط أو هيئة ويزول بظهور صفات النفس
سواء بعقبة المثل أولاً فإذا أدام وصار ملكاً سُمي مقاماً فالأحوال مواهب
والمقامات مكاسب (التعريفات ص ٤٤).

الحكم له وعزل علمه من ولايته وحكم المحفوظون فيها حاكم العلم على سلطان الحال، وعلموا أن كل حال لا يكون العلم حاكماً عليه فإنه لا ينبغي أن يعتريه ولا يسكن إليه إلا كما يسكن المغلوب المقهور لما ورد عليه مما يعجز عن دفعه وهذه حال أكمل القوم الذين جمعوا بين نور العلم وأحوال المعاملة، فلم تطف عواصف أحوالهم نور علومهم ولم يقصر بهم علمهم عن الترقى لما وراءه من مقامات الإيمان والإحسان فهو لإحكام الطائفتين ومن عذّلهم فمحبوب بعلم لا نفوذ له فيه أو مغدور بحال لا علم له بصحيحه من فاسده، والله المسؤول من فضله إنه قريب مجيب، فالكامل من يحكم العلم على الحال فيتصرف في حاله بعلمه ويجعل العلم بمنزلة النور الذي يميز به الصحيح من الفاسد لا من يقدح في العلم بالحال ويجعل الحال معياراً عليه وميزاناً، فما وافق حاله من العلم قبله وما خالفه ردّه ونفاه، فهذا أصل الضلال في هذا الباب بل الواجب تحكيم العلم والرجوع إلى حكمه وبهذا أوصى العارفون من شيوخ الطريق كلهم وحرّضوا على العلم أعظم تحريض لعلمهم بما في الحال المجرد عنه من الغوائل والمهالك والله يهدي مَنْ يَشَاءُ إلى صراطٍ مستقيم، انتهى كلام ابن القيم رحمه الله تعالى .

مع تحيات إخوانكم في الله

ملتقى أهل الحديث

ahlalhodeeth.com

خزانة التراث العربي

khizana.co.nr

خزانة المذهب الحنبلي

hanabila.blogspot.com

خزانة المذهب المالكي

malikiaa.blogspot.com

عقيدتنا مذهب السلف الصالح أهل الحديث

akidatuna.blogspot.com

القول الحسن مكتب الكتب الصوتية المسموعة

kawlhassan.blogspot.com

حي على الصلاة

وقد آن لنا أن نرجع إلى ما نحن فيه من الكلام على كلمات الأذان :

فنقول: إعلم أنه بعد تحلي القلب عما سوى الله سبحانه بالعلم بأنه الأكبر والشهادة له بالإلهية وحده وأنه الواجب أن يُعبد بحقٍ والشهادة لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالرسالة الذي هو الهادي إلى الصراط المستقيم، والمعلم للخلق كل خلق لم يبق للعبد عذر عن طاعة الله سبحانه، وطاعة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فحسن حينئذ النداء للصلاة بحي على الصلاة أي هلم وأقبل إلى الصلاة وما أحسن إثيان هذا الأمر المكرر للتأكيد بعد الشهادتين وبعد التكبير إشارة إلى أن الأمر بالإقبال والقيام إلى الصلاة، هو الله سبحانه الذي أخبرت أولاً أنه الأكبر، وشهدت له بالإلهية وهذا الأمر على لسان رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي خرجنا ببركته ونوره من الظلمات إلى النور وفارقنا به الضلال، وعرفنا به الرشاد وإذا كان الأمر عن الرب الإله المفضل المنعم الرحمن الرحيم، العفو الحليم، على لسان رسوله الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم، صلى الله عليه وعلى آله أهل التسليم،

فكيف يليق بعاقِل أن يتساهل في امْتِثال هذا الأمر العظيم، أو يؤثر غيره عليه، ويتمهل في القيام إليه، ويتغافل عن الثوب لإجابة أمره، أو يتكاسل عن النهوض لأداء واجب شكره، وهل يتشبّط عن إجابة سلطان هذا الدّاعي، أو يقعد عن امتثال هذا الأمر الذي لا يغفل عنه واعي، إلّا كُلُّ أحقّ جافي^(١)، أو غافلٍ رَسَم عقْلُه كدينه عافي^(٢)، ولذا وَرَدَ عن سيّد المرسلين، صلّى الله عليه وعلى آله المطهرين، فيما أخرجه الإمام عبد الرزاق الصنعاني^(٣) عن الحسن البصري رحمهما الله تعالى: ما ينادي مُنادٍ من الأرض للصّلاة حتى ينادي مُنادٍ من أهل السّماء قوموا يا بني آدم فاطفئوا نيرانكم فيقوم المؤذن ثم يقوم الناس إلى الصّلاة .

وورد عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: تحترقون تحترقون، فإذا صليتم الفجر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم الظهر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم المغرب غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العشاء غسلتها، ثم تنامون فلا يكتب عليكم . أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن مسعود رضي الله عنه .

وأخرج الخطيب عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جدّه عليهم

(١) من الجفاء وهو الغلظ في المعاشرة وعكسه المؤانسة .

(٢) أي مندرس .

(٣) هو الإمام عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري من حفاظ الحديث ولد سنة ١٢٦

وألف مصنفه في علم الحديث وهو مشهور توفي سنة ٢١١ أنظر الأعلام ج ٣ ص ٣٥٣ .

السلام قال : حين يسمع المؤذن يؤذن مرحباً بالقائلين عدلاً ومرحباً بالصلاة وأهلاً، كتب الله له ألفي حسنة ومحا عنه ألفي سيئة ، ورفع له ألفي درجة .

ومن المعلوم أن المراد من رَحَّب بالصلاة وقام إليها ، ووفّاهما حقّها وأكرمها إكرام الضيف النازل بالكرام ، بالبشاش وحسن القرى ، ليحمد عند صباح القيامة السرى ، وقام إليها بنشاط ورغبة ، وجمع لها حواسّه وأحضر قلبه وفرح بقُدومها عليه ، وورودها إليه فرح أهل الغائب بقُدومه بعدَ طول غيبته ، وهم إليه مشتاقون ، لشدة اعتنائهم بهم وشفقته عليهم ليس همّه إلّا في إزالة المكدرات عنهم ، وجلب المصالح إليهم ودفع كل ضررٍ ينزل بهم ، فهم له محبّون ، وعليه مشفقون ، وإلى لقائه مشتاقون ، ولحكمه طائعون ، وإلى وصّاله راغبون ، فأفراحهم في وصاله ، وأتراحهم في انفصاله ، يسعون بجدهم واجتهادهم في رضاه ، ويبذلون وسعهم فيما يحبه ويرضاه ، وهكذا حال المؤمن الكامل الإيمان في فرحه بالصلاة ، ففيها روحه وارتياحه ، وسُروره وانشراحه ، وراحته على كل حال (أرْحنا بالصلاة يا بلال) ^(١) ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ^(٢) ، وأما المنافقُ فضعيف الإيمان فإنّه يتكاسل عن

(١) حديث أرْحنا بها يا بلال رواه أبو داود عن سالم بن أبي الجعد قال : قال رجل ليني صليت فاسترحت فكأنهم عابوا ذلك عليه فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول يا بلال أقم الصلاة أرْحنا بها . أنظر كشف الإلباس ج ١ ص ١١٧ . قلت وأخرجه أيضاً أحمد بن حنبل أنظر الفتح الكبير ج ٣ ص ٣٩٠ .

(٢) الآية ٤٥ العنكبوت .

الإجابة، وتمنعه الغفلة عن الإنابة، فيتصامم عند سماع النداء، ويتغافل عن سلوك سبيل الهدى، فإذا سمع حيي على الصلاة فكأن غيره المأمور وذلك لجهله بحقوق العبودية وانقياده لدواعي الفجور، فروض عبادته هشيم، وجسم عبوديته سقيم، وقلبه شديد الإعراض وفؤاده كثير الأمراض، له التفات إلى الغير السوى، وميل إلى اتباع الهوى، فإذا ناداه مُنادي العبادة فهو منهّد القوى، ﴿صُمُّ بَكُم عُمِّيْ فَهَمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(١) ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾^(٢) ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالِي﴾^(٣) ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾^(٤) وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم يزدد من الله سبحانه إلا بُعداً، أخرجه الطبراني عن جبر الأمة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

فكلُّ يسمع الأذان بأذنيه ولكن الشَّأن في سماع القلب فهو المطلوب.

(١) الآية ١٨ البقرة

(٢) الآية ٤٥ سورة الزمر

(٣) الآية ١٤٢ سورة النساء.

(٤) الآية ٤٧ سورة التوبة.

حي على الفلاح

وبعد الأمر بالإقبال على الصّلاة وتكراره للتأكيد شرع في ترغيبه بقوله **حيّ على الفلاح** أي هلّم وأقبل إلى ما به الفلاح، والصّلاة هي سبب الفلاح، ومفتاح باب النّجاح، وبها ينال العبد ما يروم، ويبلغ ما يتمناه من الحيّ القيوم، والفلاح هو الفوز والنّجاة والبقاء في الخير والصّلاة هي سببه الأعظم وأصله المعظم، ولهذا جاء في الكتاب العزيز في وصف المتقين: ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصّلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾، ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون، أولئك على هدى من ربّهم وأولئك هم المفلحون﴾^(١) وقال تعالى ﴿قد أفلح المؤمنون، الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾^(٢) وسماها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلّم فلاحاً فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلّم: الجفا كلّ الجفا والكفر والنّفاق من سمع منادي الله تعالى يُنادي بالصّلاة ويدعو إلى الفلاح فلا يجيبه. أخرجه الطبراني في الكبير عن [معاذ بن أنس]^(٣).

(١) مفتاح سورة البقرة.

(٢) مفتاح سورة المؤمنون.

(٣) بياض في الأصل والزيادة من الفتح الكبير ج ٢ ص ٦٥ وانظر الحديث فيه.

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: من سمع الفلاح فلم يجب فلا هو مَعَنَا ولا هو وحده. وأخرج الطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فإن تمت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر.

وفي قوله حيّ على الفلاح بعد الأمر بالصلاة من الترغيب إليها ما لا يخفى حسنه كأنه يقول هلم إلى ما به الفوز والنجاة في الدنيا والأخرى، وكثيراً ما يأتي بعد الأمر الترغيب وبعد النهي التهيب بحسب ما يقتضيه المقام مثل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١) وقوله تعالى ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢) وقوله تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٣) والتهيب بعد النهي كقوله ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾^(٤) وقوله تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٥).

(١) الآية ٢٠٠ سورة آل عمران.

(٢) الآية ١٠٤ آل عمران.

(٣) الآية ٤٥ العنكبوت.

(٤) الآية ٤٤ المائدة.

(٥) الآية ١٩ سورة الحشر.

واعلم أنه أخرج مسلم وأبو داود عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: إذا قال المؤذن: الله أكبر فقال أحدكم الله أكبر ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله قال أشهد أن لا إله إلا الله ثم قال أشهد أن محمداً رسول الله قال: أشهد أن محمداً رسول الله ثم قال: حيّ على الصلوة قال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال: حيّ على الفلاح قال: لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال الله أكبر الله أكبر الله أكبر ثم قال لا إله إلا الله قال لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة^(١) انتهى .

فلما ندب صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى القول كما يقول المؤذن وكان في القول كما يقول تأديباً للنفس وتنبيهاً لها من سنة الغفلة وضرباً لها بسوط الإزعاج وجذباً لها بأزمة الإشتياق وعطفاً لها عن أودية الفراق وتشويقاً لها إلى بلوغ المرام والتفاتاً بها إلى رفيع المقام وتمريناً لها على الطاعة وارتحالاً عن طلل الإضاعة لتذهب حلاوة الذكر مرارة النسيان وتجري بها أنهار المراقبة إلى رياض الإيمان فتبسم زهور المحبة وتطيب أثمار المناجاة، وتغرد طيور جنات الشهود لسمع أرباب السماع ويعوا ويفوز بالتمتع بفواكه (إذا مررتُم برياض الجنة فارتعوا)^(٢) فإذا سمع العبد الأذان بقلبه وآذانه ونطق به بفؤاده ولسانه كان أرفع إنابة وأسرع إجابة وأجدر

(١) أنظر الحديث أيضاً في أذكار النووي ص ٣١ ط دار الفكر.

(٢) حديث شريف أخرجه الترمذي وأحمد بن حنبل والبيهقي عن أنس والطبراني عن ابن عباس والترمذي أيضاً عن أبي هريرة بزيادة (أنظر الفتح الكبير ج ١ ص ١٥٥).

أن لا يتغافل عن امتثال أوامره، وسَماع زواجره ولما قال المؤذّن حيّ على الصّلاة حيّ على الفلاح وعلم السّامع أنّ الأمر عظيم، والخطب جسيم، وأنّه يدعوه إلى البدار إلى خطاب الملك الجبّار، والقيام بين يدي ملك الأملاك، ومُدير الأفلاك، الذي خلقه في أحسن تقويم، وخصّه بإحسانه العميم، فخلق له السَّمع والبصر والفؤاد، ووكل به ملائكة يحفظونه في كل إصدار وإيراد ﴿الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم﴾^(١) وأحسن خلقه وقدر، رزقه وخلق له لساناً يترجم به عمّا يُريد، وعيناً ينظر بها القريب والبعيد، وأعطاه فهماً به يستفيد، وعِلماً له يفيد، ﴿ألّم نجعل له عيين، ولساناً وشفيتين، وهديناه النّجدين﴾^(٢) ثم إنه فقير إليه على الإطلاق، مضطّر إلى رَحْمَتِهِ شديداً لإملاق، محتاج إلى رأفته وإحسانه، فكيف عمّا سواه بفضلِهِ وامتنانِهِ، فلو وُكِّلَ إلى نفسه طرفة عين، لهلك، ولو تركه ونفسه لحظة لذهب هو وما ملك فهو عبده، وابن عبده، وابن أمته، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، إنّ مَسَّهُ الضُّرُّ فما له غيره من نافع، وإنّ نَزَلَ بِهِ النَّازِلُ فَلَيْسَ له سواه من دافع، والله سبحانه هو المَلِكُ الغني القدير، ليس له في مُلكه شريك ولا ظهير، المُقتدر القادر، الأول الآخر، الباطن الظاهر، ملكه لا ينفد، وأياديه لا تُحصَر بِحدٍّ، تعالى عن الند والولد، كل من في الوجود مُحْتَاجون إليه، وكُلُّ من في الكون كُلُّ عليه، لا يطلبون النّفع والخير من سواه،

(١) من سورة العلق.

(٢) من سورة البلد.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَ﴾ (١) ثم إنَّ هذا الملك العظيم، والاله البرَّ الرَّحِيم، اسْتَدْعَى لِمُخَاطَبَتِهِ وَمُنَاجَاتِهِ هذا العبد الضَّعِيف الَّذِي هُوَ أَحَقُّر من أَنْ يُذَكَّر، وأذَلَّ من يقوم بين يَدَيِّ الْمَلِكِ الْأَكْبَر، والعبد يَعْلَم قِلَّةَ أَدْبِهِ مَعَ مَوْلَاهُ، وَعَدَمُ أَدَائِهِ لِشُكْرِ مَا أَوْلَاهُ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِأَهْلٍ لِمُنَاجَاةِ بَارِيهِ، وَمُخَاطَبَةِ خَالِقِهِ وَمُنْشِئِهِ، وَتَيَقَّنَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِهِدَايَةِ التَّوْفِيقِ، وَعَنَايَةِ تَسْهِيلِ الطَّرِيقِ وَإِزَالَةِ شِدَائِدِ التَّعْوِيقِ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قِطَاعِ طَرِيقِهِ إِلَّا حَوْلٌ شَدِيدُ الْحَوْلِ، وَقُوَّةُ تَوْفِيقِهِ، فَحَسُنَ أَنْ يَقُولَ عِنْدَ أَمْرِهِ بِالْقِيَامِ لِمُنَاجَاةِ اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، يَعْنِي لَا حَوْلَ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَّا بِقُوَّةِ اللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ، هَكَذَا وَرَدَ تَفْسِيرُهَا عَنِ الْمَعْصُومِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الدَّيْلَمِيُّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَفِي رُوَايَةِ ابْنِ النَّجَّارِ عَنْهُ أَيْضاً: لَا حَوْلَ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، إِلَّا بِعِصْمَةِ اللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ، وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرْفَعُهُ: أَلَا أَدْلُكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ تَحْتَ الْعَرْشِ، مَنْ كُنَزَ الْجَنَّةَ، تَقُولُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ أَسْلَمَ عَبْدِي وَاسْتَسْلَمَ، انْتَهَى.

فَإِذَا عَلِمَ الْعَبْدُ عَجْزَهُ عَنِ الْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَضَعْفَهُ عَنْ تَرْكِ مَنَاهِي اللَّهِ، وَنَظَرَ بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ إِلَى حَقَارَتِهِ وَذُلِّهِ وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ عَلَى إِجَابَةِ هَذَا الدَّاعِي، وَأَدَاءِ مَا طَلَبَهُ مِنْهُ مِنْ حَمِيدٍ

(١) الآية ٦٧ من سورة الإسراء.

المساعي ، واجتناب البطالة والفرار عن أدراَنِ الجَهالة ، وخلع ربة الضلالة ، والإعراض عن دَواعي النفس والهوى ، والتخلي عن شُهود الغير والسوى ، والفك عن أسرار الشهوات ، والخروج من أسر الشبهات ، إلا بحولٍ شديد الحول ، وقُوَّة (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول) فإذا علم ذلك علم اليقين ، وقف وقوف الدليل المسكين ، وألقى مقاليدَه إلى من بيده أزمّة الأمور ، وطرح نفسه على أعتاب من بيده صلاح الجمهور ، وأسلم نفسه لخالفه ، واستسلم لمالكه ورازقه ، مرَّغ خدَّ عزّه على تراب ذله ، وانكسر قلبه باعترافه بقصوره وجهله ، فإنَّ الله عند المنكسرة قلوبهم من أجله ، فقال لا حول ولا قُوَّة إلا بالله بذلّة وانكسار ، ومعرفة لِنفسه واختيار ، فتحصل له إعانة ربّانية ، ورعاية رَحمانية ، وتوفيق إلهي ، وعون ملكوتي وحولٌ عن الإضاعة ، وقُوَّة على الطاعة ،

وَإِذَا حَلَّتِ الْهَدَايَةُ قَلْباً نَشِطَتْ لِلْعِبَادَةِ الْأَعْضَاءُ^(١)

فيغيب بمراد ربّه عن مُرادِه ، فيعمل به في جميع أُوْراده ، فيسمع بالله عن الله ، ويُبْطِشُ بالله لله ، فيشرق على قلبه أنوار وجعلت قرّة عيني في الصلاة^(٢) وهذا المَقام هو الذي يتنافس فيه

(١) بيت شهير من قصيدة الأبوصيري الهمزية .

(٢) حديث حُب إلي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرّة عيني في الصلاة . توسع في تخريجه صاحب كتاب كشف الإلباس ج ١ ص ٤٠٥ وقال رواه الطبراني في الأوسط والصغير عن أنس ومعه وكذا الخطيب في تاريخ بغداد قال ورواه النسائي عن أنس الخ .

المتنافسون، ويُقال فيه ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾^(١) وهناك يستلذ الخطاب ويتجلى له بفتحه الوهاب، ويطوي له سفره وسيره ويستريح من حيث تعب غيره، وتتحماه القواطع، وتزول عنه الموانع، ويدنو له البعيد، ويسهل له الصعب الشديد، ويُعدّ من زمرة الطائعين، ﴿وإنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(٢) وتأمل عبيد الملوك ومماليكهم بل خدَمِهم من سائر الناس كيف تَراهم يرجعون، كل أمر إلى حسن نظر سيدهم وسعادة مخدمهم، ولا يرون لأنفسهم رأياً مع رأيه، ولا يستحسنون نظراً لا يُوافق نظره وربما يكون ذلك المطاع الذي يرومون سلوانه ويتجافون عصيانه، ويستصبحون بنور ذكره الثاقب، ويهتدون بنجم رأيه الصائب ممّن لا معرفة له بتدبير أموره، فضلاً عن تدبير أمور غيره لكنهم لتمكن سلطان محبته في قلوبهم، وتحكم حاكم عظّمته، وهيبته في أفئدتهم لا يرون آراءه إلاّ جارية على نهج السداد، ولا يعدون سهام أقواله وأفعاله إلاّ نافذة إلى أغراض الرشاد، فلا تراهم إلاّ ملقين أزمّة أمورهم إليه عارضين جميع أحوالهم عليه وهكذا أولياء الله ومحبوّه تراهم بين يدي مالِكهم وسيدهم مستشعرين لهيبته، ثملين من راح محبته، مدعين لأحكامه، واقفين تحت سرادقات إجلاله وإعظامه، قد علموا أنهم إن أطاعوه وسلّكوا سبيل الانقياد له أطاعتهم الأقدار وسأعدهم القضاء وانقاد لهم الأبي، وذلّ لهم

(١) الآية ٦١ الصّافات.

(٢) الآية ٤٥ سورة البقرة.

الجامح ، وأذعن لهم الشامس^(١) ، وطاوعهم العصي ، مع علمهم أنهم لا يقدرّون على طاعته ، إلّا بنور هدايته ، ولا يسعدون بشرف خدمته إلّا بفضل منّه ورحمته ، ولا يبلغون مقام عبادته ، إلّا بتوفيق إعانته ، وهو سبحانه الغني عنهم ، وهم الفقراء إليه ﴿يا أيّها النّاس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغنيّ الحميد ، إن يشأْ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾^(٢) ناظرين إلى إظهار عنايته بهم مع غناه عنهم ، بأن أرسل إليهم ﴿رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾^(٣) واختصهم بأن شرفهم بتأهيلهم للقيام بين يديه ومخاطبتهم له بكلامه الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾^(٤) وأوجب عليهم الوصول إلى حضرته والقيام إلى خدمته في كل يوم خمس مرّات رفعاً لهم من حضيض الغفلة ونشلاً لهم من أحوال الشهوات وغسلاً لهم من درن الشبهات وانظر فإنك ترى الملوك لا يُخصّصون بخدمتهم إلّا أشرف خدمهم ولا يعنون بالدخول إلى مقاماتهم إلّا أعزّ أصحابهم فإن رأوا ممن انتخبوه لأنفسهم أهليّة للقيام بحقوقهم ومواضبة على الوفاء بمراميمهم أعلوا مقامه ورفعوا شأنه وإن رأوا منه استخفافاً بأوامرهم وتسهيلاً في مطالبهم والتفاتاً إلى نواهيهم أقصوه وأبعدوه وأناؤوه وطردهوه والله

(١) شمس شمساً شماساً امتنع وأبى .

(٢) الآيتان ١٥ و ١٦ من سورة فاطر .

(٣) من الآية ١٦٤ سورة آل عمران .

(٤) الآية ٤٢ سورة فصلت .

المثل الأعلى والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم .

ثم إِنَّه سُبْحَانَهُ لما أوجب عليهم ذلك فَسَّحَ لهم في أوقاتها رفقاً بهم ورحمةً لهم وجعلَ بفضلِهِ ورحمته وإِحْسَانِهِ وكرمه وجوده وامتنانه من نام عن صَلَاتِهِ أو سها عنها فوقَّتْها حين يذكرها فلو فنى العبد في مقامات الشكر لم يؤدِّ أدنى شكر نعمة من هذه النعم ﴿فَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٢) اللَّهُمَّ أَوْصِلْنَا بِنُورِ هِدَايَتِكَ إِلَى أَعْلَى مَقَامَاتِ طَاعَتِكَ وَاسْلُكْ بِنَا بِفَضْلِ تَوْفِيقِكَ إِلَى مَعَارِجِ مَدَارِجِ تَصَدِيقِكَ وَاغْمِسْنَا فِي بَحَارِ عِبُودِيَّتِكَ وَاسْتَغْرِقْنَا فِي شُهُودِ أَحَدِيَّتِكَ حَتَّى لَا نَسْتَعِينُ بِسِوَاكَ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ وَاسْتَغْرِقْنَا اللَّهُمَّ فِي مَشَاهِدَةِ جَلَالِ قِيَوْمِيَّتِكَ حَتَّى نَغِيبَ عَنْ أَنْفُسِنَا بِمُطَالَعَةِ حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ .

لَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ مَرْكَباً مِنَ الطَّبَائِعِ الْبَشَرِيَّةِ، مَجْمُوعاً مِنَ الْأَوْحَالِ الَّتِي قَضَى بِهَا خَلْقَهُ مِنَ الْمَائِيَّةِ وَالطِّينِيَّةِ، كَانَ بَعْدَ سَمَاعِهِ لِهَذَا الْأَمْرِ وَهُوَ حَيٌّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيٌّ عَلَى الْفَلَاحِ أَنْ أَطَاعَ الْأَمْرَ وَبَادَرَ بِالْقِيَامِ إِلَى مَنْ يَعْلَمُ مَا يُكِنُّ الصَّدْرَ وَبِمَا يَدَاخِلُهُ الْعَجَبُ بِحَالِهِ وَاسْتَعْظَامِ نَفْسِهِ بِمَبَادِرَتِهَا إِلَى امْتِثَالِهِ أَوْ يَدْرِكُهُ الضَّعْفُ وَالْخُورُ عَنْ إِجَابَةِ دَاعِي مَنْزِلِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ فَيَتَعَدَّى الطُّورَ وَلَا يَقُومُ إِلَيْهِ عَلَى الْفُورِ وَيَتَفَيَّأُ ظِلَّ التَّسْوِيفِ وَيَتَعَلَّلُ بِسَرَابِ الْأَمَانِيِّ وَيَعِدُّ نَفْسَهُ وَيَمْنِيهَا بِسَعَةِ الْوَقْتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ حَسَنَ إِعَادَةِ التَّكْبِيرِ وَتَكَرَّارِهِ زَاجِراً لَهُ عَنْ كُلِّ الْأَمْرَيْنِ وَلِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الْقِيَامَ إِلَى مَنْ هُوَ أَكْبَرُ

(١) الآية ١٨ سورة النحل .

مَنْ أَنْ يَسْتَعِظَمَ قِيَامَكَ إِلَيْهِ أَوْ تَعْجَبَ بِوَقُوفِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَوْ تَتَرَاخَى
عَنِ الْبِدَارِ إِلَى إِجَابَةِ دَاعِيهِ أَوْ تَقْصُرَ عَنِ السَّعْيِ إِلَى تَلْبِيهِ مُنَادِيهِ،
فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اسْتَحْضَرَ رَبَّهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ صَلَحَتْ وَإِنْ أُرْخِيَ
لِنَفْسِهِ رَسْنَ الْغَفْلَةِ جَمَحَتْ، وَأَوْدِيَةِ الْغَفْلَةِ وَعِرةُ الْمَسَالِكِ كَثِيرَةٌ
الْمِهَالِكُ بَعِيدَةُ الْأَطْرَافِ مَغْبِرَةٌ الْأَكْنَافُ طَوِيلَةُ الْمَدَى قَصِيرَةُ الْجَدَى
وَلَا يَنْجِي مَنْ أَوْعَارِهَا وَيُخْرِجُ مِنْ ظُلُمَاتِهَا إِلَّا الْاسْتِصْبَاحُ بِأَنْوَارِ ذِكْرِ
اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلِهَذَا كَانَ التَّكْبِيرُ فِي الصَّلَاةِ فِي رَفْعِهِ وَخَفْضِهِ
وَرُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ لِيَكُونَ أَجْدَرُ أَنْ لَا يَغْفَلَ عَنْ شُهُودِهِ، وَلِيَعْلَمَ مَنْ
يُنَاجِي فَيَتَذَلَّلُ وَيَتَضَاعَلُ وَيُخْبِتُ وَيَسْتَحْضِرُهُ تَعَالَى فَتَكْتَنِفُهُ الْهَيْبَةُ
وَيَسْتَغْرِقُهُ الْجَلَالُ فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى سِوَاهُ لَا بِقَلْبِهِ وَلَا بِقَالِبِهِ فَإِنْ
الْإِلْتِفَاتُ اخْتِلَاسٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، بَلْ يَقْبَلُ بِكَلِيَّتِهِ عَلَى رَبِّهِ إِقْبَالَ الْعَبْدِ
عَلَى سَيِّدِهِ إِذَا دَعَاهُ لِمُنَاجَاتِهِ وَلَا يَخَاطِبُهُ بِإِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
مُقْبِلًا عَلَى غَيْرِهِ فَإِنَّهُ قَبِيحٌ بِالرَّجُلِ أَنْ يَكْلِمَ رَجُلًا وَهُوَ مَلْتَفَتٌ عَلَى
غَيْرِهِ مُعْرِضٌ عَنْهُ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَخَاطِبُ الرَّبَّ الْأَكْبَرَ وَالْمَلَائِكَةَ الْأَعْظَمَ
وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنْهُ بَوَسَاوَسٍ بَاطِلَةٍ وَمَحَالَاتٍ حَائِلَةٍ وَخِيَالَاتٍ زَائِلَةٍ لَا
يَتِمُّ لَهُ مِنْهَا إِلَّا مَا قَدَّرَهُ الرَّبُّ جَلَّ وَعَلَا، وَإِنَّمَا هُوَ اشْتِغَالٌ عَنِ الْحَقِّ
بِالْبَاطِلِ وَبِمَا قَضَى لَهُ وَتَكْفُلُ لَهُ بِهِ عَمَّا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْ تَصْنِيعِهِ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ جَنَّةٌ وَلَا نَارٌ وَلَا وَعْدٌ وَلَا وَعِيدٌ لَكَانَ بِمَا فَاتَهُ مِنْ إِقْبَالِ
عَلَى رَبِّهِ عَقُوبَةٌ شَدِيدَةٌ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ. قَالَ:

أَرْضَ لِمَنْ غَابَ عَنْكَ غَيْبَتُهُ فَذَاكَ ذَنْبٌ عِقَابُهُ فِيهِ

وَاللَّهُ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا طَابَ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ

الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴿١﴾ وَمَنْ زَرَعَ الْحِيلَةَ حَصَدَ الْفَقْرَ
 ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا
 نَكْدًا﴾ ﴿٢﴾ وَمَنْ أَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَمَنْ دَنَا مِنْهُ شَبَرًا دَنَا
 مِنْهُ بَاعًا وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ اللَّهِ أَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ .

ذنوبك في الطاعات وهي كثيرة إذا عُدَّتْ تكفيك عن كل زلة ﴿٣﴾
 تُصَلِّيْ بلا قلب صلاة بمثلها يكون الفتى مستوجباً للعقوبة
 تخاطبه إياك نعبد مقبلاً على غيره فيها لخبث الطوية

﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ ﴿٤﴾ فَمَنْ بَاعَ حَظَّهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَقَدْ خَسِرَ
 الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ وَهَلَ يَلِيقُ بِمَنْ تَيَقَّنَ احتياجه إلى رَبِّهِ أَنْ يَضِيعَ مَا
 أَمَرَهُ بِهِ . أَيْدَعُوهُ السَّلَامَ ﴿٥﴾ إِلَى دَارِهِ الَّتِي فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ
 سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا وَلَا يَعْرِجُ بِعَزِيمَتِهِ
 عَلَيْهَا ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ ﴿٦﴾ فَمَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ
 رَبًّا لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى سِوَاهُ وَمَنْ رَضِيَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
 وَسَلَّمٍ رَسُولًا أَطَاعَهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَقَضَائِهِ، وَمَنْ رَضِيَ بِالْإِسْلَامِ
 دِينًا أَسْلَمَ نَفْسَهُ وَلِذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم : (مَنْ قَالَ

(١) الآية ١٠ سورة فاطر .

(٢) الآية ٥٨ سورة الأعراف .

(٣) من تائبة ابن المقرئ التي أولها :

إلى كم تمادي في غرور وغفلة وكم هكذا نومٌ إلى غير يقظة

(٤) من الآية ١٢ سورة النازعات .

(٥) من أسماء الله عز وجل .

(٦) الآية ٦١ سورة البقرة .

حين يَسْمَعُ النِّدَاءَ (رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمُحمَّدٍ صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم رسولاً غُفِرَتْ له ذُنُوبُهُ) ^(١) فليَقُولِهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم حين يسمع النداء سرَّ عظيم، لأنَّه إذا قالها صادقاً بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ انْقَادَ لِأَدَاءِ مَا أَمَرَهُ بِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْمُرْضَى لَهُ سُبْحَانَهُ .

وهَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ مِنْ أَصُولِ الْإِسْلَامِ وَرَكْنٌ شَدِيدٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ وَمَقَامٌ خَطِيرٌ مِنْ مَقَامَاتِ الْإِحْسَانِ، وَهُوَ قُطْبٌ يَدُورُ عَلَيْهِ رَحَى الدِّينِ، وَسَبَبٌ مُوصِلٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ، وَلَا يَخْفَى لُطْفُ تَقْدِيمِ الرِّضَى بِاللَّهِ رَبًّا لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ أَوَّلًا مِنَ الْعَبْدِ الرِّضَى بِرَبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِذْ هَذَا هُوَ الَّذِي بُعِثَتْ بِهِ الرُّسُلُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَدَعَا الْعِبَادَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَسَاسُ الْعِبَادِيَّةِ وَأَوَّلُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَالْإِتْيَانِ بِالْإِسْمِ الشَّرِيفِ الدَّالِّ عَلَى أَنَّهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْإِلَهِيَّةِ وَحْدَهُ، فَقَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّ الرِّضَى بِرَبُوبِيَّتِهِ يَتَضَمَّنُ الرَّؤْيَ بِمَا قَدَّرَهُ عَلَيْهِ فَلَا يَطْلُبُ سِوَاهُ وَلَا يَرْجِعُ إِلَّا إِلَيْهِ وَلَا يَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْهِ وَلَا يَسْتَعِينُ إِلَّا بِهِ وَلَا يُلُوذُ إِلَّا بِهِ . وَالرِّضَى بِالْإِلَهِيَّةِ يَتَضَمَّنُ الرِّضَى بِتَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ وَتَفْرِيدِهِ فَلَا يَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ وَلَا يَخْلَصُ إِلَّا لَهُ وَلَا يَدْعُو غَيْرَهُ وَإِتْبَاعَهُ بِالرِّضَى بِالْإِسْلَامِ دِينًا فِي غَايَةِ الْمُنَى، قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ^(٢) وَلَمَّا كَانَ تَعَالَى لَا يَرْضَى دِينًا غَيْرَ دِينِ الْإِسْلَامِ

(١) حديث أخرجه أحمد بن حنبل عن سعد بن أبي وقاص رفعه، انظر الفتح الكبير ج ٣

ص ٢١٦ والأذكار ص ٣١ .

(٢) الآية ٨٥ سورة آل عمران .

والإسلام هو الطريق الموصلة إلى الله تعالى وهو الصراط المستقيم كان الإتيان بها بعد الرضى بالله رباً هو الأولى وفيه الإشارة إلى أن أمة الإسلام هي الأمة الوسط قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(١) ففي توسط الرضى بالإسلام ديناً بين الرضى بالله رباً وبمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم رسولاً من المناسبة لهذه الإشارة ما لا يخفى حسنه، ولما كانت هذه الطريق لا تعرف إلا بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حسن إتباع الرضى بها بالرضى به صلى الله عليه وعلى آله وسلم رسولاً وكان في ختم هذه الكلمات، التي هي عماد الدين بذكره صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الإشارة إلى أنه ختام المرسلين، ما يعرفه ذوو الذوق السليم .

فائدة

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتاب أقسام القرآن^(٢) :
وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول: تفسير على اللفظ وهو الذي ينحو إليه المتأخرون، وتفسير على المعنى وهو الذي يذكره السلف، وتفسير على الإشارة والقياس وهو الذي يتحول إليه كثير من الصوفية وغيرهم، وهذا لا بأس به بأربع شرائط: أن لا يناقض معنى الآية، وأن يكون معنى صحيحاً في نفسه، وأن يكون في اللفظ إشعار به، وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم، فإذا جمع هذه الأمور الأربعة، كان استنباطاً حسناً. انتهى كلامه

(١) الآية ١٤٣ البقرة.

(٢) هو المعروف بالتيان في أقسام القرآن .

تغمّده الله برضوانه وأرسل عليه سحائب رحمته وغفرانه .

ولمّا كان النبيّ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم هو الدليل في هذه الطريق الموصلة إلى الله سبحانه لتبيين مسالكها وهداية سالكيها ، ولايضاح مناهجها وتبيين مدارجها وإراءة قواطعها والإشارة إلى المعوقات فيها ، فكان الرضا بها أولاً والرّضا به صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم دليلاً وقائداً وهادياً وبشيراً ونذيراً وسراجاً مُنيراً ، فذكر الدليل بعد ذكر الطريق أنسب ووراء هذا من الأسرار ما لا تعرفه الأفهام ، ولا تحوم حوله طوائر الأوهام ، ولا تصل إلى تحقيقه الأعلام .

وأسكتُ عجزاً عن أمورٍ كبيرةٍ
بنطقي لن تُحصى وأن قلتُ قلتُ

وفوق كلّ ذي علمٍ عليم .

على أنّ كلّ كلمةٍ من الثلاث الكلمات دخلتُ أختيها التزاماً فلا يكون الرضى بالله ربّاً حتى ترضى بالإسلام ديناً وبمحمد صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم رسولاً ، ولا يكون الرضى بالإسلام ديناً حتى ترضى بالله ربّاً وبمحمد صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم رسولاً ، ولا يكون الرضى بمحمد صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم رسولاً حتى ترضى بالله ربّاً وبالإسلام ديناً ، وقد وفق الله سبحانه مَنْ وفقَ مِنْ خَلْقِهِ لِلرّضى بِهِ إِلَهاً وَرَبّاً فَخَلَعَ (١) خَلَعَ الاعتراض التي هي

(١) خلع هنا بمعنى نزع .

أَعْظَمُ الْأَدْوَاءِ وَالْأَمْرَاضِ ، فَإِنَّ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا رَضِيَ بِكُلِّ مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَانْشَرَحَ صَدْرُهُ بِكُلِّ مَا أُرْسِلَهُ إِلَيْهِ وَعِلِمَ أَنْ كُلَّ خُرْدَلَةٍ فِي الْأَكْوَانِ فَمَا دُونَهَا قَدْ عَمَّتْهَا الْحِكْمَةُ الرَّبَّانِيَّةُ وَالتَّقْدِيرَاتُ الرَّحْمَانِيَّةُ فَلَمْ تَكُنْ إِلَّا لِمَصْلَحَةِ يَعْلَمُهَا الْحَكِيمُ عِلْمُهَا مِنْ عِلْمِهَا وَجَهْلُهَا مِنْ جَهْلِهَا فَالْحَكِيمُ الْمَاهِرُ يَرْضَى بِمَا قَدَّرَهُ الْمَلِكُ الْقَاهِرُ ، وَيَفُوضُ جَمِيعَ أُمُورِهِ إِلَيْهِ وَيَتَوَكَّلُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ عَلَيْهِ فَالرَّضَى بِاللَّهِ يَسْتَلْزِمُ الرِّضَى عَنِ اللَّهِ ، وَمَنْ رَضِيَ عَنِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَيَرْتَاحُ مِنْ تَحْمَلِ الْكُرُوبِ ، وَيَنْشَرِحَ صَدْرُهُ لِكُلِّ مَا قَدَّرَهُ مِنْ بِيَدِهِ أَرْزَمَةُ الْقُلُوبِ ، فَإِنَّ مِنْ ثَمَرَاتِ غَرَسِ التَّفْوِيزِ الْوَقَايَةَ مِنَ الْأَسْوَءِ وَهَلَاكِ الْأَعْدَاءِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فُوقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَّرُوا وَحَاقَ بَالُ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ (١) فَمَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا فُوضَ إِلَيْهِ جَمِيعُ أُمُورِهِ ، فَتَحْصُلُ لَهُ الْوَقَايَةُ مِنْ جَمِيعِ شُرُورِهِ وَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى ، وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السَّخَطُ .

وَمِنْ الرِّضَى بِاللَّهِ رَبًّا أَنْ تَرْضَى بِجَمِيعِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَيُشِيعَكَ الْإِيمَانُ بِهَا وَالتَّسْلِيمُ لَهَا وَتَرْكُ آرَاءِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَعُقُولِ الْمُتَقَدِّمِينَ ، فَلَا تَتَّقِيْدُ بِقَوْلِ أَحَدٍ مِمَّنْ لَمْ تَصْنَعْ الْعِصْمَةَ عَنِ الْخَطَا ، بَلْ تَوْمَنُ بِمَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِيْمَانُ تَصْدِيقٍ وَتَسْلِيمٍ ، وَمَا تَشَابَهَ عَلَيْكَ مِنْهُ وَكَلْتَ عِلْمِهِ إِلَى اللَّهِ وَلَا يَضُرُّكَ قَوْلُ النَّاسِ فَلَانِ جَاهِلٍ ، فَإِنَّ الْعِلْمَ مَا نَجَّاهُ مِنَ النَّارِ وَهُوَ فِي قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَقَوْلِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ

(١) الْآيَاتَانِ ٤٤ وَ ٤٥ سُورَةُ غَافِرٍ .

وسلم وما سواه فسفساف^(١)، ويروى عن علي عليه السلام :
 (العلم نقطة كبرها الجاهلون) ويكفي في ذلك قول الله سبحانه
 ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب
 وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه
 ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في
 العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾^(٢)
 فمن رضي بالله رباً لم يتبع الفتنة ولم يتبع التأويل في جميع
 المتشابهات من الأسماء والصفات، فقد كان السلف جميعهم يؤمنون
 بكل ما أخبرهم الصادق الأمين .

وتأمل هل ورد عن أحد منهم أنه سأل عن الاستواء على
 العرش أو تكلم فيه كيف كان وأولئك خير القرون، فهلاً يسع من
 يدعي العلم ويرومه ما وسعهم، فعلى من أراد الرضى بالله تعالى أن
 يقف حيث وقفوا وأن يغض نظره عما لم يطلقوا فيه أنظارهم وأن
 يؤمن بما آمنوا كما آمنوا ولا يغتر بقول من قال: طريقة السلف أسلم
 وطريقة الخلف أعلم، فإن هذا عين الباطل ومن اعتقد أنه أعلم من
 الخلفاء الراشدين ومن الصحابة الهادين فهو والله أجهل الجاهلين
 وليس وراء جهله جهل وقد كان من دعاء أعلم العالمين وأعمل
 العاملين صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين: اللهم إني أسألك علماً
 نافعاً وأعوذ بك من علم لا ينفع .

(١) أي تافه وكأنها مأخوذة من السوفسطائية .

(٢) الآية السابعة سورة آل عمران .

وقد قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله. أخرجه أبو الشيخ والطبراني في الأوسط وابن عدي والبيهقي في الشعب عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: تفكروا في خلق الله تعالى ولا تفكروا في الله.

أخرجه أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. فالعلم كل العلم في ترك العلم الذي لا ينفع والفرار منه إلى منجاة العلم النافع فطرة الله التي فطر الناس عليها ذلك الدين القيم، والمعصوم من عصمة الله تعالى ومن شدد شدد عليه، وما لم يكن عليه أمرنا فهو رد أي مردود على صاحبه أورد للشرعية، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ومن رضي بالإسلام ديناً فقد أسلم نفسه لمولاه ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله. ومن رضي الإسلام ديناً سلم المسلمون من لسانه ويده، قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أسلم المسلمون إسلاماً من سلم المسلمون من لسانه ويده^(١).^(٢) فالمسلم أخو المسلم لا يشرمه ولا يلعنه ولا يغتابه ولا ينم به، بل يحفظه، له إخوة الإسلام فإن حق إخوة الإسلام أكبر من إخوة النسب قال تعالى: ﴿إنه ليس من أهلِكَ إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إنني أعظك أن

(١) حديث أخرجه ابن حبان عن جابر بن عبد الله (الفتح الكبير ج ١ ص ١٨٤).
(٢) بياض في الأصل.

تكون من الجاهلين ﴿١﴾ . وتأمل قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : لا تَسُبُّوا الأموات فتؤذوا الأحياء ﴿٢﴾ ، منع صلى الله عليه وعلى آله وسلم من سب الأموات وهم مشركون إثمًا يتأذى الأحياء من سبهم فإن المشرك وإن مات مشركاً، لكنّه قد صار في خفارة الإسلام قريبه أن يناله سب .

وللإسلام حقوق وشروط وأركان ، وهو مبني على خمسة أركان : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ، ولكل ركن من هذه الأركان أركان وشروط لا يتم الرضى به ديناً إلا بالرضى بها ومن لم يرض بها فإنه لم يرض بالإسلام ديناً ﴿٣﴾ ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴿٤﴾ ومن رضي بمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم رسولاً حكمه في جميع أحواله الدنيوية والأخروية وانقاد لأمره وأطاعه في أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته ، فلا يقدم على قوله قول قائل وإن جلّ عنده مقداره ، بل يأخذ بقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويضرب بقول غيره الحائط ولا يُبالي بمن شنع عليه ورماه بسهم الملام وفرّق له قسي الشتم والخصام ، ولا يستوحش من طول غربته فإن هذه الغربة هي والله العزّ الدائم والنصر القائم والرفعة الكاملة والسعادة الحاصلة والمقام الأعلى ،

(١) الآية ٤٦ سورة هود .

(٢) حديث أخرجه أحمد بن حنبل والترمذي عن المغيرة (الفتح الكبير ج ٣ ص ٣٢٤) .

(٣) الآية ٨٥ سورة آل عمران .

والأوج الرّفيع والطريق المُوصلة إلى الجناب المنيع والمنهج الواضح والسبيل المنير والصراط المستقيم الموصل إلى جناب الهدى وموعد صاحبها الجنة غداً، فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ ومصادمة قول الحقيق بالافتداء صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلم نجوم الاهتداء بالآراء الوهميّة والمقالات الظنيّة والقياسات العقلية ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾^(١) ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾^(٢) ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾^(٣) وإذا كان إبراهيم الخليل وموسى الكليم فمن دونهم من الرسل الكرام على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام كلٌّ منهم يقولُ نفسي نفسي، فما ظنك بالآباء والمشائخ هيهات هيهات أن تنفعك إذ ذاك الآراء والقياسات أو تغنيك غلبة الحال والشطحات أو يعطف عليك أحد من أهل المقامات ﴿يوم يفرّ المرء من أخيه وأُمّه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يُغنيه﴾^(٤) وقد وَضَحَ الصُّبْحُ لذي عينين واستبان الحق لمُريدِهِ، وَظَهَرَ الهدى لمطالبِهِ فاخلع نعل الاعتساف، واسلك مقدس وادي الإنصاف، وشمس الهدى منيرة، أوضح من شمس الظّهيرة، وطريق الرّشاد ظاهرة، وبذور الإنصاف

(١) الآية ٦٥ سورة النساء.

(٢) الآية ٧ سورة الحشر.

(٣) الآية ٢١ سورة الأحزاب.

(٤) الآيات ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧ سورة عبس.

زاهرة، وأنواع الإِتِّباع سافرة، وظلم الابتداع دامسة، ووجوه
المخالفة عابسة.

وهذه قطرة من بحور معاني الرّضى بالله ربّاً وبالإسلام ديناً،
وبمحمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وسلم نبياً، يستدل بها اللبيب
على ما وراءها من المعاني والإشارات، التي تضمّنتها الألفاظ
النبوية، والعبادات فرياض أقواله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
روح نفوس المؤمنين ومنتزّه أرواح المقرّبين، تؤتي أكلها كل حين،
زهور المعارف بها باسمه، ونسمات العوارف فيها ناسمه، وأنهار
الحكمة بها جارية، وغواصي الفتوحات عليها رائحة وغادية، يا لها
من رياضٍ ظلّها ظليل، وروحها جزيل، ودوحها منيف، وثمرها
في الشّتاء والمصيف، ﴿جَنَّةٌ عَالِيَةٌ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ طوبى لمن سهّل
له إليها الطريق، وفاز منها بحسنها الوريق، واقتطف زاهي أزهارها
واجتنى فواكه أثمارها، وارثشف صافي سلسيلها وتلذذ بطيب مبيتها
ومقيلها، وانتشق عرف نسيمها، وشاهد حسن وسيمها، وتمتع
بمحاسنها البهيّة^(١) وحدائقها الوردية^(٢) (ورياضها النديّة)^(٣)
فتأمل كلماته الجامعة بين (أسرار البلاغة)^(٤) و(دلائل الإعجاز)^(٥)

(١) هنا يورّي المؤلف ببعض عناوين الكتب البلاغية والتاريخية.

(٢) الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية مؤلف من تأليف العلامة حميد بن أحمد
المحلي الشهيد سنة ٦٥٢.

(٣) كتاب الرياض الندية أو الروضة الندية شرح التحفة العلوية من تأليف والد المؤلف
العلامة محمد بن اسماعيل الأمير المتوفى سنة ١١٨٢.

(٤) كتاب أسرار البلاغة من تأليف العلامة عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧٤.

(٥) كتاب دلائل الإعجاز للسابق.

وانظر هذا التلخيص^(١) المشتمل على كل مطول^(٢) وهو في أبهى
قوالب (الإيجاز)^(٣) فسيحان من أعطى نبيّه صلى الله عليه وعلى آله
وسلم جوامع الكلم وخصّه من فيض علمه ببدايع الحكم، وجعله
نوراً للمهتدين وقمع بسطوته جميع المعتدين.

اللهم أوصل إليه من صلواتك عليه وعلى آله ما يليق بكمالك
وكماله، واجعل صلواتنا عليه سبباً موصلاً لنا إليك ودليلاً إذا زلّت
الأقدام، يدلنا عليك واخرجنا بنورها من ظلمات الغفلة عنك
وانعشنا بروحها لقبول الفيض منك والبسنا من جمالها حلل الحب
لجمالك واكحل بصائرنا من جمالها وجلالها بأثمن الفناء في شهود
جلالك، إنك أهل الفضل والإحسان، وولي الخير والامتنان.

(١) هو كتاب تلخيص المفتاح في المعاني والبيان تأليف جلال الدين محمد بن عبدالرحمن
القزويني المتوفى سنة ٧٣٩.

(٢) المطول هو الشرح الكبير على كتاب تلخيص المفتاح السابق الذكر تأليف سعد
الدين مسعود بن عمر التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٢.

(٣) كتاب الإيجاز في المعاني والبيان من تأليف العلامة اليميني لطف الله بن محمد الغياث
المتوفى سنة ١٠٣٥.

مع تحيات إخوانكم في الله

ملتقى أهل الحديث

ahlalhodeeth.com

خزانة التراث العربي

khizana.co.nr

خزانة المذهب الحنبلي

hanabila.blogspot.com

خزانة المذهب المالكي

malikiaa.blogspot.com

عقيدتنا مذهب السلف الصالح أهل الحديث

akidatuna.blogspot.com

القول الحسن مكتب الكتب الصوتية المسموعة

kawhassan.blogspot.com

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

رجع إلى الكلام على كلمات الأذان .

ولمّا كان الله سبحانه هو الأوّل والآخر، ومنه البداية وإليه النهاية، ختم هذا العقد الفريد بلفظ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الذي قامت به السّموات والأرض فكان ابتداء الأذان بلفظ الجلالة من الله أكبر، وختمه بها أيضاً من لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وفي حُسْن الخِتام بها التفاؤل بأن يكون آخر الكلام فيفوز قائلها بحسن الختام، فقد قال صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم فيما أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم في المستدرک عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: من كان آخر كلامه لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دخل الجنة، وأخرج الطبراني في الكبير عن معاذ رضي الله عنه يرفعه: كلمتان إحداهما ليس لها نهاية دون العرش، والأخرى تملأ ما بين السماء والأرض لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ والله أكبر، فقد كان ختم الأذان بهما لما فيهما من الفضل العظيم والفيض العميم وإفرادها مع تشفيح كلمات الأذان سرّاً لطيف يفهمه كل ذي فهم شريف، إذ لا يخفى على الفطن العارف القایل^(١) في ظل رياض

(١) من القيلولة معروف .

المعارف أن الله سبحانه وتر يحب الوتر، كما أخبر بذلك المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أهل الصفا، فلما كانت كلمات الأذان شفعا وترت بكلمة الشهادة كما وترت صلاة النهار بصلاة المغرب وصلاة الليل بصلاة الوتر، قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: المغرب وتر النهار فأوتروا صلاة الليل. رواه الإمام أحمد، وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم: صلاة الليل مثني مثني فإذا خشيت الصبح فأوتر بواحدة توتر لك ما قد صليت، وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: لا وتران في ليلة لأنه لو أوتر وترين كانت صلاته شفعا والمُراد الوتر، ولما كان الأذان نداء إليها ودعا إليها كان وترًا مثلها، ثم لما كانت لا إله إلا الله كلمة توحيد ولفظة تفريد تدل على تفرده سبحانه بالآلهية ووحدته في الربوبية كان في اختصاص لفظها بالافراد إشارة إلى هذا المعنى المراد. ويدل ذلك على صحة هذا ما أخرجه ابن حبان والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه: ألا أعلمك كلمات إذا قلتها أدركت من سبقك ولا يلحق بك أحدٌ إلا من أخذ بمثل عملك: تكبّر في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين تكبيرة وتحمد ثلاثاً وثلاثين تحميدة وتسبح ثلاثاً وثلاثين تسبيحة وتختتمها بلا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، فإن قلت فهل كانت كلمة الشهادة في أول الأذان مفردة أيضاً لما ذكرت .

قلت لا سوى فإن الشهادة في أول الأذان المقصود منها تنبيه ذوي الأشغال والتحريض في المبادرة بسلوك الامثال، والسامع في أول الأذان أقرب إلى الغفلة والانشغال بالمحال، وهو في آخر الأذان

بخلاف ذلك الحال إذا كان واعياً للمقال، وأمّا من استولت كثافة الغفلة على فؤاده وقطعت عوائق الخسران طرق رشاده فهو بمعزل عن الجميع، وإذا نودي إلى الخير فهو غير سميع.

اللّٰهُمَّ نَبِّهْنَا مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَأَزِلْ عَنِ الْقَلْبِ رَتَاخَهُ وَقْفَلَهُ وَافْتَحْ مَسَامِعَنَا لِسَمَاعِ نِدَائِكَ وَفَقِّهِ قُلُوبَنَا لِفَهْمِ دَعَائِكَ وَأَشْهَدْنَا تَجَلِّيَّاتِ أَنْوَارِ تَدْبِيرِكَ، وَاطْفِئْ نِيرَانَ شَرْتِنَا بِمِيَاهِ أَسْرَارِ تَكْبِيرِكَ، فَإِذَا خَبَتْ نِيرَانُهَا وَانْقَطَعَ لَهْبُهَا وَدُخَانُهَا، فَأَنْبِتْ مَكَانَهَا غِرَاسَ شَهَادَةِ أَحَدِيَّتِكَ، وَأَحْيِ أَرْضَ الْقَلْبِ بِمَتَدَفِّقِ شَهَوْدِ تَفْرِيدِ الْوَهِّيَّتِكَ، وَاجْعَلْ نَوْرَ رَبِيعِ هَذِهِ الرِّيَاضِ، وَزَهْرَ بَدِيعِ هَذِهِ الْغِيَاضِ، مُقْتَبِساً مِنْ مَشْكَاتِ أَنْوَارِ الرِّسَالَةِ، وَمُسْتَعَاراً مِنْ أَنْوَارِ اقْتِفَاءِ آثَارِ الْمَاحِي لظَلَمِ الضَّلَالَةِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ نَجُومِ الْعِلْمِ الْهَادِيَةِ فِي لَيْلِ الْجَهَالَةِ، وَأَهْلُنَا اللَّهُمَّ لِحُضُورِ مَقَامَاتِ مَنَاجَاتِكَ، وَاجْعَلْ قِرَّةَ أَعْيُنِنَا فِي الصَّلَاةِ وَفَهْمِ مَعَانِي كَلِمَاتِكَ، وَأَقْبِلْ بِقُلُوبِنَا إِلَى مَا بِهِ الصَّلَاحُ وَالْفَلَاحُ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ لَهَجَتْ مِنْهُمْ بِذِكْرِكَ الْأَلْسِنَةُ وَالْقُلُوبُ وَالْأَرْوَاحُ، وَاخْتَمِ أَعْمَالَنَا وَأَقْوَالَنَا بِكَلِمَةِ الشَّهَادَةِ، فَإِنْ حُسِّنَ الْخَتَامُ بِرَاعَةِ اسْتِهْلَالِ السَّعَادَةِ، آمِينَ اللَّهُمَّ آمِينَ، وَسَاذَكَرْ هُنَا جُمْلَةَ سَنَحَتِ لِلخَاطِرِ الْكَلِيلِ، فَإِنْ وَافَقَتْ فَمِنْ فَضْلِ الْجَلِيلِ، وَإِحْسَانِهِ الْجَزِيلِ، وَفِيضِ كَرَمِهِ الْجَمِيلِ، وَإِنْ أَخْطَأْتُ السَّبِيلَ، فَالْقُصُورُ بِالْغَدْرِ كَفِيلُ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ.

وهي على طريق الإشارة وفي الإشارة بشارة، فاعلم وفّقني الله وإياك أن الصلوات الواجبات خمس، والسُنن المؤكّدة، التي كان

النبي صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلّم لا يتركها حَضَرًا وسَفَرًا سُنَّةَ
 الفجر ووتر الليل، وفي كلمات الأذان إلى ذلك إشارة لأنَّ الظُّهر
 والعصرَ والعشاءَ أَرْبَعًا أَرْبَعًا، والتكبير وكلمتا الشهادة على رواية
 التربع والترجيع مشابهة لها في كونها أَرْبَعًا أَرْبَعًا، وصلاة الفجر
 وستتها ركعتان ركعتان، وحيّ على الصلاة وحيّ على الفلاح مثني
 مثني ولمّا كانت حيّ على الفلاح تابعة في المعنى لحيّ على
 الصّلاة وكانت سنة الفجر تابعةً لصلاة الفجر حصلت المُناسبة
 ووقعت المشابهة، ولما كان المغرب وتر صلاة النهار، والوتر
 المندوب إليه وتر صلاة الليل، ناسب الوترين التكبير في آخر
 الأذان مرتين وكلمة التهليل وكان في تغاير كلمتي التكبير في آخر
 الأذان، وكلمة الشَّهادة إشارة إلى تغاير الوترين وصحة الإِشار
 بواحدة وفي إيجادها في كونها كُلُّها كلمات ذكر لله سبحانه إشارة
 إلى المغرب الذي هو وتر النهار، فإنه لا يكون إلا ثلاثاً لأنه لو جعل
 لوتر النهار مشابهاً من كلمات الأذان على انفراده ولوتر الليل مشابهاً
 لذهب الوتر وكانت كلماته شفعاً، ولذا وَرَدَ عن المصطفى صَلَّى الله
 عليه وعلى آله وسلّم: لا وتران في ليلة، أخرجه الإمام أحمد عن
 طلق^(١) بن علي رضي الله تعالى عنه.

(١) هو طلق بن علي بن المنذر بن قيس السحيمي اليمامي وفد قديماً وبني في المسجد له
 أربعة عشر حديثاً وعن ابنه قيس وعبدالرحمن (الخلاصة ص ١٨١).

خاتمة

في فضل الأذان وآدابه

قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١) أخرج أبو الشيخ في كتاب الأذان عن الحسن عن الرصافي قال : سهام المؤذنين كسهام المجاهدين وهو فيها بين الأذان والإقامة كالمشحط^(٢) في دمه، قال : وقال ابن مسعود رضي الله عنه : لو كنت مؤذناً ما باليت أن لا أحج ولا أعتمر ولا أجاهد، قال : وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو كنت مؤذناً لأكمل أمري وما باليت أن لا أنتصب لقيام ليل ولا لصيام نهار، وسمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤَذِّنِينَ فَقُلْتُ : تركتكم يا رسول الله ونحن نجتلد على الأذان بالسيوف قال : كلا يا عمر إنه سيأتي على الناس زمان يتركون الأذان على ضعفائهم تلك لحوم حرّمها الله على النار لحوم المؤذنين .

وقالت عائشة رضي الله عنها : ولهم هذه الآية ومن أحسن قولاً

(١) الآية ٣٣ سورة فصلت .

(٢) المشحط بالشين المعجمة فحاء مهملة فطاء مهملة : الاضطراب في الدم . قاله صاحب القاموس . وصاحب القاموس هو العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفى سنة ٨١٧ .

ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴿١﴾ . قالت هم المؤذنون إذا قال حيّ على الصلاة فقد دعا إلى الله فإذا صلى فقد عمل صالحاً فإذا قال أشهد أن لا إله إلا الله فهو من المسلمين .

وأخرج أيضاً فيه عن جابر رضي الله عنه قيل : يا رسول الله من أول الناس دخولاً الجنة قال : الأنبياء ثم الشهداء ثم مؤذنو الكعبة ثم مؤذنو بيت المقدس ثم مؤذنو مسجدي هذا ثم سائر المؤذنين على قدر أعمالهم ، وأخرج أبو الشيخ أيضاً عن أبي محذورة ^(١) رضي الله عنه ، قال : خرجت في نفر فكنا في بعض طريق حنين فقفّل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم من حنين فلقينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم في بعض الطريق ، فأذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم بالصلاة عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم ، فسمعنا صوت المؤذن ونحن منكّبون فصرخنا نحكيه ونهزأ به فسمع ^(٢) رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم فأرسل إلينا متى وقفنا بين يديه فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلّم : أيكم الذي سمعت صوته قد ارتفع ؟ فأشار إليّ القوم وصدقوا فقامت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم فألقى عليّ التأذين بنفسه ، فقال : قل الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، ثم ارجع وامدّد صوتك قل أشهد أن لا إله إلا الله

(١) هو أبو محذورة الجمعي المكي المؤذن واسمه أوس بن معبر له أحاديث ووفاته سنة ٥٩ هـ (خلاصة ترهيب الكمال ص ٤٥٩) .

(٢) كأنهم كانوا أطفالاً في ذلك الوقت .

أشهدُ أن لا إله إلا الله أشهدُ أن محمداً رسولُ الله أشهدُ أن محمداً رسولُ الله، حيَّ على الصلاة حيَّ على الصلّاة، حيَّ على الفلاح حيَّ على الفلاح. الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله لا إله إلا الله، ثم دعاني حين قضيت التأذين فأعطاني صُرة فيها شيءٌ من فضّة ثم وضع يده على ناصيتي ثم أمرّها على وجهي، ثم على كبدي ثم بلغت يد رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلم سُرتي ثم قال: بارك الله فيك وبارك عليك فقلتُ يا رسول الله مُرني بالتأذين بِمَكّة قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: قد أمرتك به، وذهب كل شيء كان لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من كراهيته، وعاد ذلك كلّهُ محبةً لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأذنت معه بالصلاة عن أمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قوله ونحن عنه (منكبون) يقال: نكب عنه كنصر وفرح نُكباً ونُكباً ونكوباً عدل كنُكب وينكب.

من سبقت له العناية لم تضرّه الجناية أنظر إلى أبي محذورة قام لقصد الاستهزاء فعاد فائزاً بوافر الجزاء ورام السخرية بما فعل فرجع ببلوغ الأمل وربّما صحّف الأجسام بالعلل، وهكذا إذا لحظت الإنسان عيون السعادة، سافهته السنة الإفادة أفنّال الحُسنى وزيادة، فينشّد هنالك لسان حاله ويفصح عن ذلك لسان قاله^(١):

قسماً بحق الحب إن هواهم غطّى على سمعي وسدّ بصائري

(١) من أبيات لوالد المؤلف العلامة محمد بن اسماعيل الأمير المتوفى سنة ١١٨٢ (من هامش المخطوطة).

وملا جميع جوارحي وجوانحي فجوارحي في الوجد مثل ضمائري
فعلى سواهم لا أبيت مسهداً وإلى سواهم لست أرفع ناظري
وإذا خلوت مفكراً فبذكرهم هيهات يخطر غيرهم في خاطري
ولقد بخلت بقطرة من مدمعي تجري لغير ذوي الجمال الباهر
من بعد ما قد كنت أبذل كلما عندي لكل سائلٍ ومسامرٍ

اللهم اهْدِنَا بِكَ إِلَيْكَ، وَدُلَّنَا عَلَيْكَ وَأَفِضْ عَلَيْنَا مِنْ أَنْوَارِ الْعِنَايَةِ
وَأَسْرَارِ الْهِدَايَةِ، مَا يَمْحُو عَنَّا ظِلْمَ الْجَنَايَةِ، وَيَكْشِفُ عَنَّا حُجُبَ
الْغَوَايَةِ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

وأخرج الخطيب عن معقل بن يسار^(١) رضي الله عنه، عن النبي
صلى الله عليه وعلى آله وسلّم قال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَأْذَنُ لشيءٍ من
أهل الأرضِ إِلَّا لِأَذَانِ الْمُؤَذِّنِينَ وَالصَّوْتِ الْحَسَنِ بِالْقُرْآنِ.

وأخرج ابن عدي عن ابن عمر رضي الله عنهما يرفعه: إن أهل
السماء لا يسمعون شيئاً من أهل الأرض إِلَّا الْأَذَانَ.

وأخرج الخطيب عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وعلى آله وسلّم قال: لو أقسمت لبررت، إن أحبّ عباد الله إلى
الله الرُّعَاةُ الشَّمْسُ والقمر وإنهم ليعرفون يوم القيامة بطول
أعناقهم^(٢).

(١) هو معقل بن يسار المزني ممن بايع تحت الشجرة مات في زمن معاوية (الخلاصة
ص ٣٨٣).

(٢) أنظر الحديث أيضاً في الفتح الكبير ج ٣ ص ٣٩.

وأخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: لو يعلم الناس ما لهم في التأذين لتضاربوا عليه بالسُّيوف، وأخرج ابن النجار عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: إذا أذن المؤذن فهو عمود الله عز وجل وإذا تقدّم الإمام فهو نور الله وإذا سُويت الصفوف فهي أركان الله، فبادروا إلى عمود الله واقتبسوا من نور الله وكونوا أركان الله في الأرض.

وأخرج أبو الشيخ في الأذان وأبو يعلى في سننه وأبو السنّي والحاكم في المستدرک وتعقب وأبو نعيم في الحلية وسعيد بن منصور في سننه عن أبي إمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: إذا نادى المُنادي فتحت أبواب السماء واستجيب الدُّعاء، فمن ترك كرباً أو شدّة فليتحين المُنادي فإذا كبر كبر وإذا تشهّد تشهّد وإذا قال حيّ على الصلاة قال حيّ على الصلاة وإذا قال حيّ على الفلاح قال حيّ على الفلاح، ثم يقول اللهم ربّ هذه الدعوة التّامة الصادقة دعوة الحقّ المستجابة المستجاب لها دعوة الحقّ وكلمة التّقوى أحمينا عليها وأمّتنا عليها، وأبعثنا عليها، وأجعلنا من خيار أهلها محيانا ومماتنا، ثم يسأل الله تعالى حاجته.

وأخرج أبو الشيخ في الأذان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: الإمام ضامنٌ والمؤذن مؤتمن اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين فقال رجل: يا رسول الله لقد تركتُنا نتنافس في الأذان بعد، قال: إن بعدكم زمان

أسفلتهم مؤذنوهم ، وأخرج الإمام عبد الرزاق عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم قال : أذنت مرة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم ! فقلتُ قد أذنت يا رسول الله فقال لا تؤذّن حتى تصبح ، ثم جئته أيضاً فقلتُ قد أذنت فقال لا تؤذّن حتى ترى الفجر ، ثم جئته الثالثة فقلتُ قد أذنت فقال لا تؤذّن حتى تراه هكذا ، وجمع يديه ثم فرقهما .

وأخرج الإمام أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن جابر رضي الله عنه يرفعه : من قال حين يسمع النداء « اللهم ربّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلّم الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته » حلّت له شفاعتي يوم القيامة .

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان عن ابن عمر رضي الله عنهما يرفعه : قل كما يقولون فإذا انتهيت فسل تعط . وأخرج ابن السني عن ابن مسعود رضي الله عنه يرفعه : إذا سمع النداء بالصلاة فكبر المُنادي فيكبر ويشهد أن لا إله إلا الله ، ويشهد أن محمداً رسول الله فيشهد على ذلك ويقول : اللهم اعطِ سيّدنا محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلّم الوسيلة ، واجعل في العالمين درجته وفي المصطفين محبته وفي المقربين ذكره إلاّ وجبت له شفاعة مني يوم القيامة .

وأخرج الطبراني في الكبير عن ابن مسعود رضي الله عنه يرفعه : ما من مسلم يقول إذا سمع النداء أو كبر المُنادي يكبر ثم يشهد أن

لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اعْطِ مُحَمَّدًا
الْوَسِيلَةَ وَاجْعَلْ فِي الْأَعْلِينَ دَرَجَتَهُ وَفِي الْمَصْطُوفِينَ مَحَبَّتَهُ وَفِي
الْمُقَرَّبِينَ ذِكْرَهُ إِلَّا وَجِبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَأَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخِ فِي الْأَذَانِ عَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْهُمَا يَرْفَعُهُ: مَنْ سَمِعَ الْأَذَانَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ رَبُّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ النَّامَةِ
وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْوَسِيلَةَ
وَالْفُضِيلَةَ وَابْعَثْهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتَهُ «حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ
الْقِيَامَةِ».

وَأَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخِ فِي الْأَذَانِ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَرْفَعُهُ: مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَبَلِّغْهُ دَرَجَةَ الْوَسِيلَةِ عِنْدَكَ
وَاجْعَلْنَا فِي شَفَاعَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَجِبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي.

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّعَوَاتِ وَابْنُ صَصْرِي فِي أُمَالِيهِ عَنْ أَبِي
هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرْفَعُهُ: مَنْ سَمِعَ الْمُؤَذِّنَ فَقَالَ كَمَا يَقُولُ ثُمَّ يَقُولُ
رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَسَلَّمَ نَبِيًّا وَبِالْقُرْآنِ إِمَامًا وَبِالْكَعْبَةِ قِبْلَةً، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ اكْتُبْ شَهَادَتِي هَذِهِ فِي عَلِيِّينَ، وَأَشْهَدْ فِيهَا مَلَائِكَتَكَ
الْمُقَرَّبِينَ وَأَنْبِيََاءَكَ الْمُرْسَلِينَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاخْتَمِ عَلَيْهَا بِأَمِينٍ
وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ عَهْدًا تَوْفِينِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ،

بدرت إليه بطاقةً من تحت العرش فيها أمانة من النار.

وأخرج الإمام أحمد وابن السنّي والطبراني في الأوسط عن جابر رضي الله عنه يرفعه: من قال حين ينادي المنادي بالصلاة اللهم ربّ هذه الدّعوة القائمة والصلاة النافعة صلّ على محمد وعلى آل محمد وارض عني رضاء لا سخط بعده أجاب الله تعالى له دعوته.

وأخرج الطبراني في الكبير عن معقل بن سيار يرفعه: أيّما قومٍ نودي فيهم بالأذان صباحاً كان لهم أماناً من عذاب الله تعالى حتى يمسيوا، وأيّما قومٍ نودي فيهم بالأذان مساءً كان لهم أماناً من عذاب الله تعالى حتى يصبحوا.

وأخرج الطبراني في الصغير عن أنس رضي الله تعالى عنه يرفعه: إذا أذن في قرية أمّنها من عذابه ذلك اليوم.

وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم لم يكن يغير بنا حتى يصبح فينظر فإن سمع أذاناً كفّ عنهم وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم.

وأخرج الإمام أحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم يقول: ما من ثلاثة لا يؤذن فيهم ولا يُقام فيهم الصلاة إلّا استحوذ عليهم الشيطان.

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم: لو يعلم النّاس ما في النداء

والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا .

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : المؤذن يغفر الله له مدى صوته ويشهد له كل رطبٍ ويابس .

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن حبان وابن السني عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : الدعاء لا يُرد بين الأذان والإقامة . إزاد الترمذي : فماذا نقول يا رسول الله قال : سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة .

وأخرج الترمذي والحاكم عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً : إذا أذنت فترسل وإذا أقمت فأحذر^(١) .

وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي عمر رضي الله عنه قال : لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى السماء أوحى إليه بالأذان فنزل به فعلمه جبريل .

وأخرج أبو الشيخ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إذا أقيمت الصلاة وأحدكم في المسجد فلا يخرج حتى يُصلي فإن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يأمر بذلك .

وأخرج الترمذي عنه مرفوعاً : لا يؤذن إلا متوضي .

وأخرج الطبراني في الكبير عن ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً : إنما يقيم من أذن .

(١) أي أسرع .

وأخرج أبو داود عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً:
ليؤذن لكم خياركم وليؤمكم أقرؤكم .

وأخرج ابن حبان وابن ماجه والحاكم في المستدرک عن ابن
عبّاس رضي الله عنهما مرفوعاً من سمع النداء فلم يأتِه فلا صلاة له
إلا من عذرٍ .

وأخرج أبو نصر السجزي^(١) في الإبانة وابن عساكر عن أنس
يرفعه : إذا سمعت النداء فأجب وعليك السكينة فإن أصبت فرجةً
وإلا فلا تضيق على أخيك ، واقرأ ماتسمع أذنك ولا تؤذ أخاك وصلِّ
صلاة مودّع .

وأخرج الطبراني في الكبير عن كعب بن عجرة^(٢) يرفعه : إذا
سمعت النداء فأجب داعي الله .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن عثمان رضي الله عنه مرفوعاً : إذا
سمعت النداء فقوموا فإنها عزمة من الله .

وأخرج الطبراني في الكبير عن أبي محذورة رضي الله عنه يرفعه :
المؤذنون أمناء المسلمين على فطورهم وسحورهم .

وأخرج البيهقي في السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه :

(١) هو أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزي من حفاظ من مؤلفاته كتاب
الإبانة عن أصول الديانة المذكور توفي سنة ٤٤٤ (الأعلام ج ٤ ص ١٩٤) .

(٢) هو كعب بن عجرة بن أمية بن عدي القضاعي البلوي من المحدثين توفي سنة
٥٨ هـ (خلاصة مذهب الكمال ص ٣٢١) .

من أذن خمس صلوات إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه .

وأخرج الحاكم في تاريخه وأبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه : للمؤذن فضل على من أتى الصلاة عشرون ومئة حسنة إلا من قال مثل ما يقول : فإذا أقام فأربعون ومئة حسنة إلا من قال مثل ما يقول .

وأخرج الطبراني في الكبير وأبو الشيخ في الأذان عن سلمان رضي الله عنه مرفوعاً : إذا كان الرجل بأرض فحانت الصلاة فليتوضأ فإن لم يجد ماء فليتيّم وليقيم فإن أقام صلى معه ملكان وإن أذن وأقام صلى خلفه من خلق الله سبحانه ما لا يرى طرفاه .

وأخرج الإمام أحمد عن أبيّ بن كعب يرفعه : يا بلال اجعل بين أذانك وإقامتك نفساً يفرغ الأكل من طعامه في مهلٍ ويقضي المتوضي حاجته في مهلٍ .

وأخرج أبو الشيخ في الأذان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلّم أنه قال : يحشر المؤذنون أطول الناس أعناقاً لقولهم لا إله إلا الله .

اللهم يا ذا العطايا الجزيلة، والأأيادي الجليلة، والصفات العلية الدالة على الأبدية، والأزلية، صلّ وسلّم على شعاع الأنوار الأحدية، ومظهر أسرار الصمدية، الدال منك بك عليك، والواصل الموصول لكل سالك إليك، والواقف بكلية بين يديك، والكاشف لمعاني عبوديته لديك، حضرة القدس المقدسة، وروضة الأنس

المؤسسة، مفتاح دار السلام، ومصباح منار الإسلام، أصل أصول النبوة، وغيث أنواء الفتوة، نقطة دائرة الوجود ومحيطها، ومركب أسباب السُّعود وبسيطها، سلطان أرباب الجمعية، وإمام أهل القرب والمعية، الذي توجهت بتاج المحبة فهو لك أحب حبيب، وخلعت عليه حلل القربة فهو منك أقرب قريب، المطلع على مكنونات غيبك، والمنخرقة لنوره أستار حجبك، كنز العمال ومنهج الكمال، ومحيط رحال الآمال، موضع التجليات الربانية، ومهبط النِّفحات الرحمانية، أنفَسَ المخلوقات فرعاً وأصلاً، وأكرم الكائنات قولاً وفِعْلاً، بابُ الله الذي منه الدُّخول، وداعي الله الذي به الوصول، حامل لواء الحمد، ومؤسس أركان المجد، راكب البراق، ومُخترق السَّبْع الطباق، وديعة الأنبياء الكرام، ونتيجة خلق آدم عليه السلام، مبدأ الأنوار، ومنشأ الأسرار، وخيرة الخيار، من انتهت إليه رئاسة توحيدك، وصدقت عليه سلطنة تفريدك، هادي الخليقة، وواضح الطريقة، وصاحب الحقيقة، وحديقة الشمائل الأنيقة، ورياض الفضائل الرشيقة، راقى الدرجات الرفيعة، ومبلغ خليقتك عنك حكام الشريعة، وعلى آله الطاهرين، وصحبه الراشدين، وعلينا معهم أجمعين، واغفر لنا ولجميع المؤمنين آمين، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الفهرس

٩	مقدمة
١١	الله أكبر
١٧	أشهد أن لا إله إلا الله
٢١	أشهد أن محمداً رسول الله
٣٧	حي على الصلاة
٤١	حي على الفلاح
٦٣	لا إله إلا الله
٦٧	خاتمة: في فضل الأذان وآدابه

مع تحيات إخوانكم في الله

ملتقى أهل الحديث

ahlalhodeeth.com

خزانة التراث العربي

khizana.co.nr

خزانة المذهب الحنبلي

hanabila.blogspot.com

خزانة المذهب المالكي

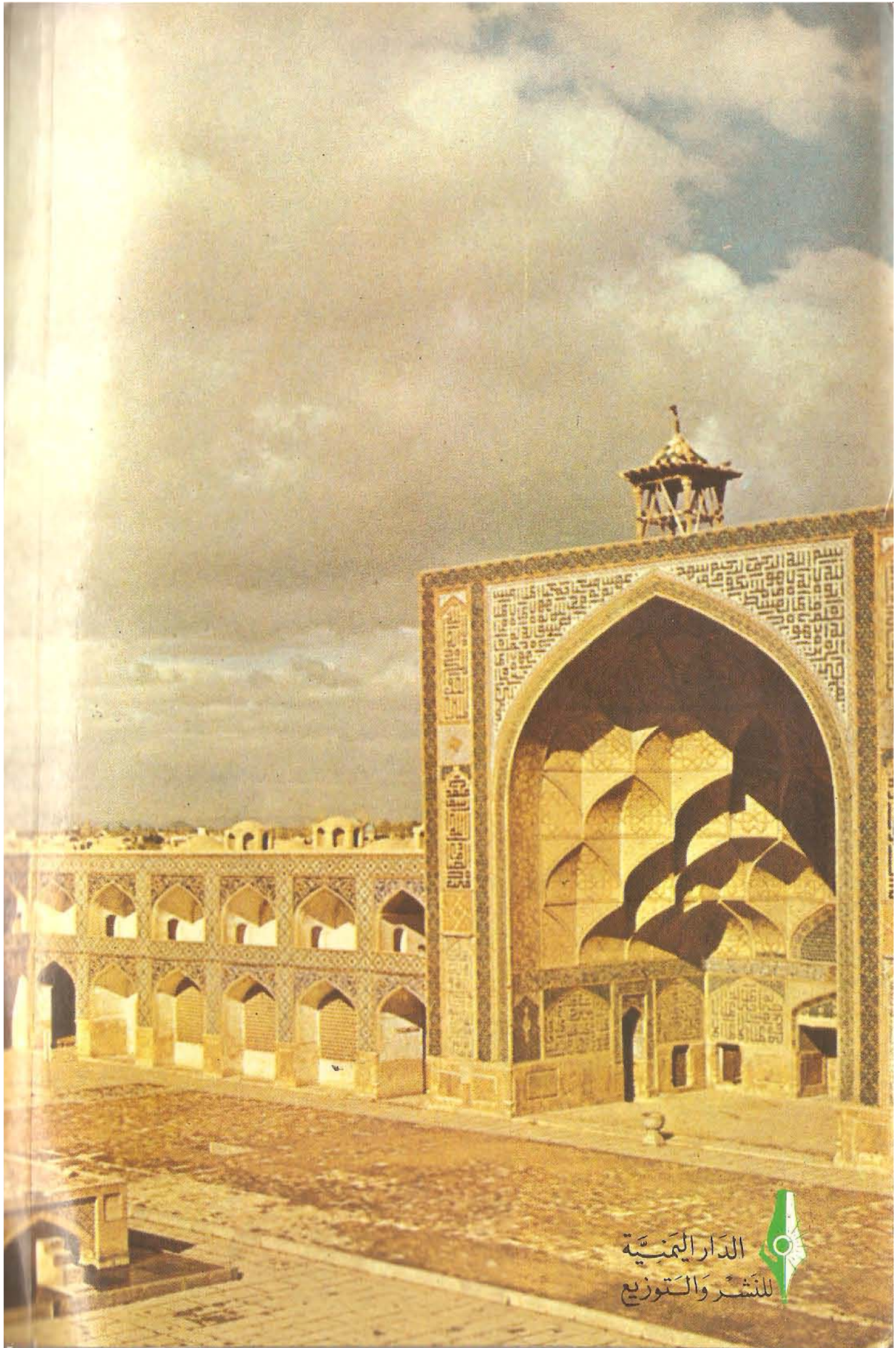
malikiaa.blogspot.com

عقيدتنا مذهب السلف الصالح أهل الحديث

akidatuna.blogspot.com

القول الحسن مكتب الكتب الصوتية المسموعة

kawlhassan.blogspot.com



الدار اليمنية
للنشر والتوزيع

